الجمـــهورية الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE

وزارة التعليم العـالي والبحـث العلمي
جامعـــة 8 مـاي 1945 قالمـــــة
كليـــــة الآداب واللّغات
قسم اللغة والأدب العربي

MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR
ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE
UNIVERSITE 8 MAI 1945 GUELMA
Faculté des lettres et langues
Département de la langue et littérature arabe

الرقم: .....

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة

الماستـر

تخصص: أدب جزائـري

الأنساق الثّقافية في رحلة" نزهة الأنظار في فضل علم التّاريخ والأخبار" للحسين الورتيلاني

مقدمة من قبل:

الطالب (ة): عثامنية روميسة

الطالب (ة): عشـــاش أحلام

تاريخ المناقشة: 14/06/ 2022

أمام اللجنة المشكلة من:

الاسم واللقب	الرتبـة	مؤسسة الانتماء	الصفة
نادية موات	أستاذة محاضر "أ"	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	رئيسا
عثامنية أحلام	أستاذة محاضر "أ"	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	مشرفا ومقرّرا
عبد المجيد بدراوي	أستاذة محاضر "ب"	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	ممتحنا ومناقشا

السنة الجامعية: 2022/2021

شكر وعرفان

"ياإلهي لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك"

نذكر في البداية بالشّكر لله، والحمد لله على نعمته العظيمة، ونحمده حمدا كثيرا على توفيقنا لإنجاز هذا العمل المتواضع كما نحمده على نعمتي الإسلام والعقل الذي أنار بهما درب العلم والعمل.

ونقف وقفة شكر وعرفان للدكتورة الفاضلة "عثامنيّة أحلام" التي لم تبخل علينا بعطائها العلمي ونصائحها طيلة هذا العمل، والحمد لله الذي شرّفنا بإشرافها على عملنا هذا.

بالإضافة إلى جميع الأساتذة الذين قيل فيهم "من علّمني حرفا صرت له عبدا" الذين ساهموا في تعليمنا وتكويننا وإفادتنا في جميع الأطوار.

كما نتقدّم بالشّكر إلى كل من وضع بصمته في هذا العمل سواء من قريب أو بعيد حتى لو بكلمة تشجيع.

تقبّلوا منّا تحيّة التّقدير وأسمى عبارات الشّكر والعرفان

مقدّمـــــة

جُبل الإنسان على حبّه للاستطلاع والاكتشاف ومعرفة الآخر منذ قديم الأزمنة وهو ما دفعه للرّحلات والتّنقّل والسّفر من إقليم لآخر راغبا في كشف معالمه وخباياه والاحتكاك بالشّعوب والتعرف على عاداتهم وطرق عيشهم.

وأدب الرّحلات هو نوع من الأنواع الأدبيّة التي ينقل فيها الرّحالة كل ما تقع عليه عيناه ويصفها وصفا دقيقا حيث يسجّل جغرافيّة المكان من مناظر وأقاليم ومعالم تاريخيّة واجتماعيّة، ولعلّ أوّل رحلة عرفها التّاريخ البشري هي رحلة آدم وحوّاء من جنة الفردوس إلى الأرض، وفي الأرض بدأ الإنسان في عمليّة البحث عن الحقائق والمعارف لتحقيق طموحاته وآماله.

فالرّحالة يصف ويعرض جميع تفاصيل رحلته ومن هنا استمدّت الرّحلة متعتها، إذ يشعر القارئ أنّه سافر مع الرّحالة، وبذلك أصبحت الرّحلة منبعا يستقي منها الباحثين كلّ حسب مجال تخصّصه، وذلك لما تحتويه من تنوّع المعارف والعلوم والثّقافة.

تعدّ رحلة "نزهة الأنظار في فضل علم التّاريخ والأخبار " للحسين الورتيلاني من أهم الرّحلات التي حضي بها تراثنا الجزائري القديم ومن بين أكبر الأعمال الأدبيّة التي قام بها في تاريخه الأدبي، حيث جمعت بين الدّافع العلمي والوازع الدّيني، ما جعلنا نسلّط الضّوء عليها ونخصص لها هذه الدّراسة تحت عنوان "الأنساق الثّقافيّة في رحلة نزهة الأنظار للورتيلاني".

وفي هذا السّياق سنحاول الإجابة عن الإشكاليّة الآتية:

ما هي أبرز الأنساق الثّقافيّة المضمرة في رحلة الورتيلاني ؟

وانطلاقا من هذه الإشكاليّة تولّدت لدينا الأسئلة الآتية:

- ما علاقة النّقد الثّقافي بأدب الرّحلة؟

_ ما هي أهم لموضوعات التي تطرّق إليها الورتيلاني؟

_ إلى أيّ مدى وفّق الورتيلاني في إظهار النّسق الاجتماعي والتّاريخي والطّبيعي والدّيني والثّقافي والفلسفي في رحلته؟

ومن بين الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع:

_ قلّة الدّراسات في مجال أدب الرّحلة في الجزائر

_ أهميّة أدب الرّحلة عند العرب خصوصا كفن يصوّر البلدان وينقل ثقافتهم وجميع معالمهم الحضاريّة.

_ ما تنطوي عليه المدوّنة الرّحليّة من تشابه وتقارب في المضامين الحضاريّة والثّقافيّة وأداء مناسك الحج للبلدان العربيّة

والهدف من هذه الدّراسة هو إحياء هذا الجنس الأدبي وإزالة الغبار عنه وإثراء البحوث والدّراسات ببلادنا وسد الفراغ الذي يعاني منه أدب الرّحلي عموما والجزائري خصوصا.

اعتمدنا في بحثنا على خطّة تتمثّل في: مقدّمة ومدخل وفصلين وأخيرا خاتمة.

تطرّقنا في المدخل إلى مفاهيم ومصطلحات متعلّقة بمفهوم أدب الرّحلة ونشأته وقيمته، والأنساق الثّقافية، وعلاقة أدب الرحلة بالأنساق الثّقافيّة.

أمّا الفصل الأوّل: فجاء تحت عنوان النّسق الاجتماعي والتّاريخي والطّبيعي من خلال وصف الحياة الاجتماعيّة من مأكل وملبس ومشرب وتاريخ وحضارة كلّ بلد مرّ به الرّحالة في أثناء رحلته وما يزخر به من مناظر وثروات طبيعيّة.

والفصل الثّاني: تحت عنوان النسق الدّيني والثّقافي و حيث تحدّثنا عن مناسك الحج وأحكامه والالتقاء بالعلماء والفقهاء .

أخيرا خاتمة فقد جعلناها حوصلة لأهم النّتائج المتوصّل إليها من خلال دراستنا لهذا البحث.

أمّا المنهج المتّبع فهو منهج النّقد الثّقافي لرصد الأنساق الثّقافية المختلفة ولاستنطاق النّص الرّحلي والكشف عنها.

لا يمكننا القول أنّ موضوعنا هو الأوّل في هذا المجال، وإنّما هناك دراسات سابقة نذكر منها: آليات الكتابة في الرّحلة الورثلانية مقاربة سيميائيّة، رسالة ماجستير للباحثة الخامسة علاوي بعنوان العجائبية

في أدب الرّحلات ، إلاّ أنّ البحث في مجال الأنساق الثّقافية في رحلة الورتيلاني لم يتطرّق إليه من قبلولم يحظ بالبحث الكافي .

ومن المراجع التي اعتمدنا عليها في دراستنا وكانت لها علاقة وطيدة بموضوعنا هي:

_شعيب حليفي "الرحلة في الأدب العربي "

_أبو شعيب الساوري "الرحلة والنّسق"

_شوقي ضيف "الرّحلات"

وقد واجهنا في بحثنا هذا بعضا من الصّعوبات المتمثّلة في قلّة الدّراسات في الرّحلة الجزائريّة عموما ورحلة الورتيلاني خصوصا.

وفي الأخير لا يسعنا إلاّ أن نشكر الدّكتورة المشرفة "عثامنية أحلام"التي أسدت البحث بعنايتها وتوجيهاتها الهامّة ونصائحها الدّائمة فكانت لنا نعم المشرفة، كما نوجّه شكرنا وتحيّاتنا لأعضاء اللّجنة المناقشة على قبول مناقشة مذكّرتنا والشّكر أوّلا وأخيرا لله تعالى.

مدخـــــل: مفاهيم ومصطلحات:

أوّلا: مفهوم الرّحلة : لغة

اصطلاحا

ثانيا: مفهوم أدب الرّحلة

ثالثا: نشأة أدب الرّحلة وقيمته

رابعا: النّسق: لغة

اصطلاحا

خامسا: الثّقافة: لغة

اصطلاحا

سادسا: الأنساق قالثّقافيّة

سابعا: الرّحلة والنّسق

أولا/ مفهوم الرّحلة:

أ _لغة:

لقد حظيت مادّة "رَحَلَ" بشرح واف في العديد من المعاجم العربيّة، فقد جاء في لسان العرب: "التَّرْحِيلُ وَالرِّحَالُ بِمَعْنَى الإِشْخَاص وَالإِزْعَاجُ، يُقَالُ: رَحَلَ الرَّجُلُ إِذَا سارَ، وَأَرْحَلْتُهُ أَنَا، وَرَجُلٌ رَحُولٌ وَقَوْمٌ رَحِلَ أي يَرْتَحِلُونَ كَثِيرًا، وَرَجُلُ رِحَالُ: عَالِمٌ بِذِلِكَ مُجِيدٌ لَهُ ..."[1]

فالرّحلة هنا بمعنى السيّر. وورد لفظ الرّحلة في موضع آخر بمعنى الانتقال من مكان إلى مكان آخر "والتَّرَحُلُ وَالإِرْتِحَالُ "؛ الإِنْتِقَالُ، وَهُو الرِّحْلَةُ وَالرِّحْلَةُ اِسْمٌ لِلْارْتِحَالُ، لِلْمَسِيرُ ..."[2]

ومن معاني الرّحلة كذلك الوِجْهَةُ أو المَقْصِدُ والرِّحْلَةُ بِالضَّمِ الوَجْهُ الذِي تَأْخُذُ فيهِ وتُرِيدُهُ ..."[3]

وورد في مقاييس اللّغة (رحل) الرَّاءُ والحَاءُ واللاَّمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى مُضِيٍّ فِي سَفَرٍ، يُقالُ: رَحَلَ يَرْحِلُ رِحْلَةً. وَجَمِيلٌ وَرَحِيلٌ: ذُو رِحْلَةٍ إِذَا كَانَ قَوِيًّا عَلَى الرِّحْلَةِ. وَالرِّحْلَةُ: الإِرْتِحَالُ "[4]

وجاء في قاموس المحيط: " الرُّحْلَةُ بِالضَّمِ وَالكَسْرِ أو بِالكَسْرِ: الإِرْتِحَالُ وَبِالضَّمِ: الْوَجْهُ الذِي تَقْصِدُ وَالسَّفْرَةُ الْوَاحِدَةُ. وَالرَّحِيلُ كَأَمِيرٍ اسْمُ ارْتِحَالِ القَوْمِ وَمنْزِلٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالبَصْرَةَ. وَرَاحِيلُ: أُمٌّ يُوسَفَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ. وَرِحْلَة: هَضَبَةٌ. وَأَرْحَلَ: كَثُرَتْ رَوَاحِلُهُ وَالبَعِيرُ: قَوِيَ ظَهْرُهُ بَعْدَ ضَعْفٍ وَالإِبِلُ: سَمِنْتْ بَعْدَ هُزَالٍ فَأَطَاقَتْ الرِّحْلَةُ وَفُلاَنًا أَعْطَاهُ رَاحِلَةً. كَمَنَعَ: انْتَقَلَ. وَرَحَّلْتُهُ تَرْحِيلاً فَهُوَ رَاحِلٌ مِنْ رُحَّلٍ كَرُكَّعٍ.[5]

إذا فالرّحلة تعني التّرحال والانتقال والضّرب في الأرض والسّير في مناكبها.

---

[1] ابن منظور، **لسان العرب مادة (ر، ح، ل)**، دار المعارف، بيروت، (د، ط)، (د، ت)،ج 3 ، ص1609.

[2] المرجع نفسه، صفحة نفسها.

[3] المرجع نفسه، صفحة نفسها.

[4] ابن فارس، **مقاييس اللغة**، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، سوريا، (د، ط)، 1979، ص 497.

[5] الفيروز آبادي(مجي الدّين يعقوب)، **قاموس المحيط**، دار الجيل، بيروت، (د، ط)، 1985، ج 2 ، ص 394.

ب_ اصطلاحا:

تعدّدت مفاهيم الرّحلة في الاصطلاح، إلاّ أنّها كلّها تصب في قالب واحد فقد عرفها الإمام الغزالي " بأنّها أنواع مخالطة مع زيادة تعب ومشقّة "[1] فالرّحلة في نظره هي احتكاك بالآخر من انفتاح على المكان المتوجّه إليه، فتحدث مخالطة وتفاعل.

أمّا بطرس البستاني فيعرّفها بأنها "انتقال واحد-أو جماعة-من مكان إلى مكان آخر"[2]، فلكلّ رحلة غرض وغاية، دفعت بالرحّالة للتّرحال سواء كان الدافع أو الغاية ذاتيّا خاص بالرّحالة أو عاما خاص بأمتّه وأحوالها.

في حين يعرّفها صلاح الدّين الشّامي "إنّ الرّحلة تظلّ إنجازا أو فعلا مباشرا لما يعنيه، أو يقتضيه أمر اختراق حاجز المسافة أو إسقاط الفاصل الحاجز بين المكان الّذي تبدأ منه، والمكان الّذي تنتهي إليه"[3].

أي أنّ الرّحلة تحقق الحركة للإنسان فيتولّد عن ذلك فوائد عدّة فالشّخص الّذي يقوم بالرّحلات ليس الشّخص نفسه الذي لا يتحرّك ولا يرتحل، وتبقى الرّحلة أعمّ وأشمل من السّفر، لأنّ في السّفر تقطع مسافات معيّنة أمّا الرّحلة فتكون انتقال من مكان إلى آخر بقطع مسافات كبيرة.

فمشتقّات الرّحلة كثيرة ومتعدّدة تدل كلّها على الحركة لأنّ الرّحلة في الواقع ماهي إلاّ حركة وانتقال[4].

أي أنّ الرّحلة عبارة عن رياضة تبعث في الإنسان الحيويّة والنّشاط والبعد عن الخمول.

---

[1] الإمام الغزالي(أبو حامد بن محمد)، **إحياء علوم الدّين**، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1986، ج 2، ص 273.

[2] بطرس البستاني، **دائرة المعارف**، مطبعة المعارف، بيروت، (د ، ط)، 1884، مج 8، ص 564.

[3] صلاح الدّين الشّامي، **الرّحلة عين الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافي والدّراسة الميدانيّة**، منشأة المعارف، الاسكندريّة، (د، ط)، 1999، ص 11.

[4] ناصر عبد الرّزاق الموافي، **الرّحلة في الأدب العربي حتى نهاية ق 4**، مكتبة الوفاء، القاهرة، ط1، 1995، ص 23.

ثانيا/ مفهوم أدب الرّحلة:

بعد أن تطرّقنا لمفهوم الرّحلة في الاستعمال اللّغوي والاصطلاحي، سنحاول تحديد مفهوم أدب الرّحلة على اعتبار أنّه فن من الفنون النّثريّة، فهي من الفنون الأدبيّة الّتي عرفت عند الفراعنة والفنيقيين والإغريق، كما عرف عند العرب على أنّه فن له ميزاته الخاصّة، فإذا اهتمّ الرّحالة بتصوير كل ما شاهده أثناء رحلته من أجل إيصال فكرة معيّنة فرحلته تدخل في مجال "الأدب لأنّه ينفعل ويتأثّر ويصف فيصوّر لنا ذلك من خلال عمله الأدبي"[1].

في حين يعرّفه ناصر موافي بأنّه "ذلك النّثر الّذي يصف رحلة –رحلات–واقعيّة قام بها رحّال متميّز، موازنا بين الذّات والموضوع، من خلال مضمون وشكل مرنين، بهدف التّواصل مع القارئ والتّأثير فيه"[2].

فأدب الرّحلة جنس نثري يقوم فيه الرّحالة بوصف رحلته وصفا واقعيّا دقيقا مركّزا على كل تفاصيل الحياة، بعيد كل البعد عن الخيال، يقوم فيه بالموازنة بين ذاته بوصفه لحاله وما صادفه وبين الموضوع من أجل التّأثير في القارئ والتّواصل معه كأنّه سافر معه، إذ يسجّل رحلته في أثناء سفره من خلال يومياته أو سردها على أشخاص بعد عودته فيقومون بتدوينها حفاظا عليها من الضّياع نظرا لما تحمله من قيمة.

يعدّ مصطلح أدب الرّحلة في معجم المصطلحات العربيّة "مجموعة من الآثار الأدبيّة التي تتناول انطباعات المؤلّف عن رحلاته في بلدان مختلفة، وقد يعرض فيها ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق وتسجيل دقيق للمناظر الطّبيعيّة الّتي يشاهدها."[3]

ومن خلال عرضنا لهذه الأقوال نستخلص أنّ أدب الرّحلة مصدر ثريّ تستقي منه سائر العلوم ما جعلها تستحوذ على مكانة مميّزة عن بقيّة الأنواع الأدبيّة باعتبارها شريطا تسجيليّا لمختلف

[1] عبد الله الركيبي، **تطور النثر الجزائري الحديث**، الدار العربيّة للكتاب، ليبيا تونس، (د، ط)، 1974، ص 50.

[2] ناصر عبد الرزاق الموافي، **الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية ق 4**، ص 41.

[3] مجدي وهبة، كامل المهندس، **معجم المصطلحات العربيّة في اللّغة والأدب**، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984/1944، ص 17.

مظاهر الحياة، فالرّحالة وهو يجوب الأرض يسجّل كل ما تقع عليه عيناه، فيختلف الرّحالة في تصوير المكان المزار من شخص لآخر.

ثالثا/ نشأة أدب الرّحلة وقيمته:

شكّلت الرّحلة المرحلة الأكثر انطلاقا وانفتاحا في المعرفة العربيّة عن الآخر لأنّها اتّخذت من التّجربة والمشاهدة المباشرة أساسا لتدوينها ووصفها، فكتب الرّحلات إذن تعتبر مرجعا مهمّا ومصدرا للمعلومات التّاريخيّة لذلك "زاد الوعي بالرّحلة نصّا وخطابا ... وقد تراوح الوعي بالرّحلة عند الرّحالة الّذين نقلوا تجاربهم الرّحلية بشكل فردي أو جماعي، برغبة أو بدونها في مهمّة للغير أو لحسابهم الخاص ضمن مؤلفات مستقلّة بين الوضوح والالتباس في المعرفة بالشّكل والقالب الّذي يسجّل فيه رحلته"[1].

نظرا لأهميّة هذا الوعي انتشر فن الرّحلة منذ القدم ولقي اهتماما ورواجا كبيرا.

وكانت بداية انطلاق الرّحلات شرقا وغربا منذ القرن الثّالث حيث الثّامن للهجري بلا توقّف تقريبا، حيث تمكّن الرّحالة من تدوين كل مرآه في كلّ أنحاء العالم المعمور آنذاك[2].إذ أنّ الرحالة العرب لم يدوّنو أخبار الرّحالة الأوائل، ولكنّنا لا نصل إلى القرن الثّالث للهجرة ونقرأ كتبهم الجغرافيّة والتّاريخيّة حتّى نجدهم قد عرفوا معرفة تامّة أخبار الأمم من حولهم، ممّا يذلّ على كثرة الرّاحلين والسّائحين.[3]

فكان للعرب روّادا عظاما في مجال أدب الرّحلات وأولوه اهتماما كبيرا ، كما تألّق في الدّرب رجال كثر حيث "عرف كتاب التّقاويم والبلدان منذ المراحل الأولى للتّأليف"[4]، فإذا تتبّعنا مسار هذا الأدب نجد أنّ الإرهاصات الأولى لهذا الفن كانت منذ القرن الثّالث على يد أبي العبّاس أحمد بن يعقوب المعروف باليعقوبي ، من خلال كتابه "البلدان" الّذي يعدّ كتابا ممتعا تاريخيّا وجغرافيّا على يد

[1] شعيب حليفي، **الرحلة في الأدب العربي**، رؤية للنشر، القاهرة، ط1، 2006، ص 46.

[2] محمد بن سعو دبن عبد الله الحمد، **موسوعة الرحلات العربية والمعرفة المخطوطة والمطبوعة**، دار الكتب، الوثائق القومية، القاهرة، ط1، 2007، ص 17.

[3] شوقي ضيف، **الرحلات**، دار المعارف، القاهرة، ط1، (د، ت)، ص 49.

[4] محمد التونجي، **المعجم المفصل في الأدب**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1981، ص 15.

رحّالة عالم الأسفار و بأخبار الأمم السّابقة، وإلى الجانب اليعقوبي عرف هذا القرن رحّالين آخرين نذكر منهم "محمد بن موسى بن المنجم وهب القرشي، وسلام الترجمان" ومن هنا اشتهر أدب الرّحلة وتطوّر لدى العرب وأصبحت هواية كل رحّال مستطلع محب للاستكشاف، على اعتبار أنه جبل على التّرحال وحب الانتقال.

وما نلمسه في كتب الرّحلات أنّها تحتوي على قيمتين بارزتين هما القيمة العلميّة والقيمة الأدبيّة، فتكمن القيمة العلميّة في تلك المعارف الجغرافيّة والتّاريخيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة، ذاك نتيجة اتّصال الرّحالة المباشر بالطّبيعة واحتكاكه بالنّاس[1]. أمّا القيمة الأدبيّة فتتجلّى في أسلوبها الممتع والمشوّق الذي يرقى إلى الأدب لما يحمله من تنوّع قصصي إلى الحوار والوصف السّلس الجذّاب، بعيدا عن التّزويق والتّنميق اللّفظي المتكلّف مستعينا بالتّعبير السّهل البسيط عن تجربة صاحبه.[2]

رابعا/ مفهوم النّسق:

ممّا لا شك فيه أن عصرنا الحالي يعيش تحت واقع فوضى المصطلحات وتحديد المفاهيم، وهذا الإشكال أوقع الكثير من الباحثين والعلماء تحت ما يسمّى بالتّداخل في المعاني، وهذه التّداخلات لابد لها أن تؤثّر سلبا ونحن اليوم بصدد دراسة أحدث مفاهيم العصر ألا وهو مصطلح "الأنساق الثقافيّة" وتعدد وجهات النظر حوله، والملاحظ للوهلة أنه مصطلح مركب من قسمين النسق والثقافة ومن هنا يتبادر لنا السؤال الآتي:

ما هو النّسق؟ وماهي الثّقافة؟ وماذا نعني بالأنساق الثّقافيّة؟ ومدى ارتباطها بالعلوم جميعا بما فيها الأدب خصوصا؟ وكيف كانت طبيعة العلاقة بينه وبين الأنساق؟

[1] سيد حامد النساج، **مشوار الكتب الرحلة قديما وحديثا**، مكتبة غريب، القاهرة، (د، ط)، (د، ت)، ص 8.

[2] حسني محمود، **أدب الرحلة عند العرب، رحلات أمين الريحاني نموذجا، الوكالة العربية عمان ،الأردن**، (د، ط)، 1995، ص 1.

أ. لغة:

ورد مفهوم النّسق في مواضع عديدة نجده في لسان العرب لابن منظور في مادة "نسق" يقول:"النَّسُقُ فِي كُلِّ شَيْء وَمَا كَانَ عَلَى طَرِيقَةٍ وَنِظَامٍ وَاحِدٍ، عَامّ فِي الأَشْيَاءِ وَقَدْ نَسَقَهُ تَنْسِيقاً"[1].

وورد أيضا في معجم الوسيط: "نَسَقَ الشَّيْءُ–نَسْقًا: نَظَّمَهُ– يُقَالُ: نَسَقَ الدُّرُّ، وَنَسَقَ كُتُبَهُ. والكَلَامُ: عَطَفَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ (أَنْسَقَ) فُلَانٌ: تَكَلَّمَ سَجَعًا. (نَاسَقَ) بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ: تَابَعَ بَيْنَهُمَا وَلاَءَمَ. (نَسَقَهُ): نَظَّمَهُ. (انْتَسَقَ)الْأَشْيَاءَ: انْتَظَمَ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ. (النَّسَقُ): مَا كَانَ عَلَى نِظَامٍ وَاحِدٍ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. يقال جَاءَ القَوْمُ نَسَقًا، وَزَرَعْتُ الأَشْجَارَ نَسَقًا."[2]

أمّا في قاموس المحيط فقد وردت كلمة (النَّسَقُ) بمعنى: مَاجاءَ مِنْ كَلَامٍ عَلَى نِظَامٍ وَاحِدٍ ... (وَأَنْسَقَ)، أيْ تَكَلَّمَ سَجَعًا، (والتَّنْسِيقُ) هو التَّنْظِيمُ ...، (تَنَاسَقْتُ) الأَشْيَاءَ وَ(انْتَسَقْتُ) أيْ (تَنَسَقَتْ) بِبَعْضِهَا البَعْضُ[3].

من خلال التّعاريف السّابقة يمكننا القول إن معنى النّسق هو التّسلسل والتّرتيب والنّظام، أي التّنسيق التّنظيمي للأشياء عامّة في شكل واحد، وفي مجال الأدب يعني تسلسل الجمل وترابطها.

ب . اصطلاحا:

يعرفه العالم "تالكوتبارسوتر" على أنّه "نظام ينطوي على أفراد مفتعلين يحدد علاقتهم بعواطفهم وادوارهم التي تنبع من الرموز المشتركة المقررة ثقافيا في إطار هذا النّسق وعلى نحو يغدو معه مفهوم النّسق أوسع من مفهوم البناء الاجتماعي".[4]

أمّا عبد الله الغذامي يقول :"يجري مصطلح أو يجري استخدام النّسق كثيرا في الخطاب العام والخاص وتبدأ بسيطة، وقد تأتي مرادفة لكلمة البنية أو النّظام حسب مصطلح ديسوسير".[1]

---

[1] ابن منظور، **لسان العر**ب، تح: عبد الله الكبير وآخرون، (د، ط)، دار المعرفة، القاهرة، (د، ت)، مج5، ص 4013.

[2] مجمع اللغة العربية، **معجم الوسيط**، ط4، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2004، ص .918

[3] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، قاموس المحيط، تح:محمد نعيم العرقوسي، مؤسسة الرسالة، ط 8، 2005، ص 925.

[4] اديت كوينرل عصر البنوية، ترجمة جابر عصفور، دار السعادة الصباح، الكويت، ط1، 1993، ص 411.

أي أن النّسق نظام ووتيرة تسير الأفراد ثقافيا تحت مسمّى الشّمولية والوحدة فتساعد في فهمهم لبعضهم البعض، أكثر من وظيفتها البنائية الاجتماعية من ناحية الكيان، تحت غطاء مستتر ظاهر فهذه هي الصّفة الجالية للنّسق.

خامسا/ مفهوم الثقافة:

أ. لغة:

يقول ابن منظور: " ثَقُفَ الشَّيْءُ، تَثَقُّفًا، وَثِقَافًا وَثُقُوفَةً، حَذْقُهُ، وَرَجُلٌ تَثَقَّفَ وَثَقَفَ: حَاذِقُ الفَهْمِ، والثِّقَافُ حَدِيدَةٌ تَكُونُ معَ القِوَاسِ والرِّمَاحِ يَقُومُ بِهَا الشَّيْءُ المعْوَجُّ.[2]

إذا فالثّقافة لغة هي الفهم والذّكاء وتقويم العقل وتحسينه عن طريق التّهذيب.

ب . اصطلاحا:

يعرّفها حسن جابر على أنها: "مجموعة من العقائد والقيم والقواعد التي يقلّدها أفراد الجماعة، كما تعرف بأنها المعاني، والمعاني التي تفهمها جماعة من النّاس ن وتربط بينهم من خلال وجود نظم مشتركة."[3]

فالثّقافة هي تلك العادات والتقاليد والنّظم التي تجمع الجماعات من خلال خصائص وعوامل تاريخيّة وزمانيّة، إلى جانب تداول نفس المواد الثقافيّة.

فهي كل جامع بين طابع تهذيبي عقلي وتداولي جماعي بغض النّظر عن الإثنيات.

فربما لو جمعنا مجموعة من الأفراد في مكان معين مع اختلاف الأديان والثّقافات والأجناس وبمرور مدّة زمنيّة معيّنة ن سنجدهم كونوا ثقافة خاصّة بهم ويتداولونها.

---

[1] عبد الله الغذامي، **النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية**، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 3، 2005، ص 76.

[2] ابن منظور، لسان العرب، بيروت، ص 520.

[3] إسراء حسن جابر، **النقد الثقافي**، مجلة الفلسفة، الجامعة المنتصرية كلية الآداب، العراق، العدد3، 2017ا، ص 31.

سادسا/ الأنساق الثقافيّة:

لقد تطرّقنا سابقا إلى تفصيل هذا المصطلح المركب من لفظتين، والتعرف على شموليته جزئياته لنأتي إلى مرحلة التعرّف على الأنساق الثقافيّة.

يقول عبد الله الغذامي: "هنا يقتضي إجرائيّا أن نقرأ النّصوص والأنساق التي تكون صفة قرائتها خاصّة، قراءة من وجهة نظر النّقد الثقافي، أي أنّها حالة ثقافيّة والنّص هنا ليس نصّا أدبيّا وجماليّا فقط بل حادثة ثقافية فإن الدلالة النسقية فيه سوف تكون هي الاصل النظري للكشف والتأويل مع التّسليم بوجود دلالات أخرى صريحة وضمنيّة، تلعب أدوارا خطيرة من حيث هي أقنعة تختبئ من تحتها الأنساق وتتوسّل به لعمل التّرويض الذي ينتظر هذا النّقد أن يكشفه."[1]

فالأنساق الثقافية عبارة عن قراءة نقديّة لنصوص انطلاقا من أنّ النّص يعبّر عن حوادث وأخبار جماعيّة وثقافيّة، أي استدعاء الكشف والتّأويل، إضافة إلى دلالات أخرى تكون تارة ضمنية وتارة صريحة، فهي خبايا منصوصة تحت إطار مضمر يستوجب على النّقد الثقافي كشفها وتعريتها.

سابعا/ الرّحلة والأنساق الثّقافيّة:

إنّ الرّحلة والأنساق الثقافية تربطهما علاقة وطيدة، فهما جزئيتان يعتمدان على بعضهما البعض، فيا ترى ماهي هذه العلاقة؟ وإلى أي مدى كانت؟

لابدّ أنّ الرّحلة هي تلك المغامرة والانفتاح على الآخر وعلى عوالم جديدة، فالرّحالة في خوضهم هذه الرّحلة يتأثّرون بما شاهدوه من مختلف المظاهر سواء كانت اجتماعيّة، ثقافيّة، دينيّة... وهذا الانبهار يستدعي الرّحال إلى استدعاء الأنساق الثقافيّة الخاصة به، ربّما على وجه المقارنة أو على وجه الفهم.

يقول أبو شعيب السّاوري: "تقوم الرّحلة على تداخل وتفاعل بين نماذج وأنساق مختلفة، ينتقل الرّحالة من نماذج إرشاديّة إلى أخرى وفقا للأزمنة أو اللّحظة النّفسيّة التي تعرض لها، ممّا ولّد نصّا يجمع ول

[1] عبد الله الغذامي، **النقد الثقافي**، ص75،

ايفرّق كما تفعل الأنساق نفسها"[1]، كما يقول أيضا: "أنّ هذه التّعليقات تتماشى بين الأنساق، وهذه العمليّة الانتقاليّة للرّحالة مع مقوّمات النّصوص ومقوّمات الكتابة، لأنّها قد تخرق الآفاق والسّبب في ذلك هو أنّ الأدب يرضي طرف وقد يثير آخر، وقد يثير الطرف الذي يكون النّص متطابقا مع ذخيرته، هذا ما يفعله الأدب ويشكّل استمراريته وبذلك يسمح لنا النّص الرّحلي بضبط المميّزات الدّقيقة للنّسق الثقافي المشكّل من النّزاعات الشخصية للأفراد المشكّلين له ، ومن التّأثيرات بين الأفراد و الجماعات والتّأثيرات بين نسق متعددة، وبين أنساق متعدّدة أخرى يتعلّق الأمر ببنية ديناميكيّة ووظيفيّة".[2]

إذا الطّابع الرّحلي يجمع بين الأنساق بجميع أنواعها مبنيّا على التّوجيه والجمع عكس الأنساق.

فالنّص الرّحلي يمنحنا فرصة تحديد مميّزات الأنساق الثّقافيّة وحتى تلك النّزوعات التي تداخل سواء كانت شخصيّة أوجماعيّة، أي الطّابع النّفسي اللاشعوري ومن خلال التّأثير المتبادل بين النّصوص والأفراد فهذه الطّبيعة الديناميكيّة التّأثيريّة، أدّت إلى التّعليم والاكتساب عن طريق التّداخل.

ومن خلال ما سبق ذكره يمكن الإجابة عن الإشكاليّة المطروحة حول علاقة الرّحلة بالأنساق الثّقافية فهي علاقة تفاعليّة، وذلك لطبيعة النّص الرّحلي التي تستدعي هذه الأنساق إلى جانب ميزة التعددية المقارنة–البحث في النّسق الآخر المغاير والتماس أوجه التّشابه، إذ وجد الاختلاف البارز ومحاولة إيجاد خيط بينهما لمسح غبار الالتباس سواء كان هذا الالتباس حضاري، ثقافي، ديني ...

ويمكن القول أن الأنساق الثّقافيّة تجسدت في الأدب الرّحلي واعتبار هذا التّجسد ضرورة حتميّة من ضروريات العصر.

[1] أبو شعيب السّاوري، **الرحلة والنسق**، دراسة في إنتاج الأدب الرحلي، مؤسسة الرحاب الحديثة، (د، ط)، 2017، ص 84.
[2] المصدر السابق، ص 85.

فصل أوّل: النّسق الاجتماعي والتاريخي والطّبيعي

أوّلا/ النسق الاجتماعي:

أ. الطّعام

ب- اللّباس

جـ- المرأة

د- الزّواج

هـ- العادات والتّقاليد

و- وصف المدن والقرى

ثانيا/ النسق التاريخي:

أ- بناء القيروان

ب- فتح مدينة باغية

ج- خبر الكاهنة

د- مدينة القلزم

هـ- صوت الطبول

و- بناء الإسكندرية

ثالثا/ النسق الطبيعي:

أ_ الوديان

ب_ الآبار

1-النّسق الاجتماعي:

لكل مجتمع نسق اجتماعي عام تندرج تحته كافة أوجه السّلوك الإنساني وتتضمّن مجموعة من النّظم الاجتماعيّة "ذات قواعد سلوكيّة مستقرّة تحكم الأنشطة الإنسانية، في ظل جمع من الأفراد المتفاعلين. فهذا النّسق يقوم بتفسير التّجربة الإنسانيّة ويمنح ما هو فاقد للمعنى، المعنى من حيث أصل المعنى، فهو نسق مهيمن يتحكّم في تصوّرات الأفراد وسلوكاتهم"[1]، وهذا ما صوّرته الرّحلة التي بين أيدينا حيث قام الرّحالة بوصف طريقه إلى الحج وقدّم تقريرا عن كلّ مدينة مرّ بها ويتجلّى ذلك من خلال:

أ-الطّعام:

هو مركّب حضاري في تركيبه ليس ماديّا فحسب له معنويّات ودلالات لفظيّة تعبّر عن أصالة كلّ مكان، إذ نجد الرّحالة في مدوّنته يخبرنا عن الحج في مدينة ساحل حامد "التقى بجمع من الشّيوخ المعروفين ببوعصيدة وعرفوا بهذه التّسمية لأنّ كل من مرّ بهم وضعوا له مائدة من أكلة العصيدة باللّحم".[2]

وعند مروره ببلدة "زلتين" وهي بلدة واقعة في طرابلس أتاهم الشيخ سيدي سالم القطيسي طبقا من اللّحم والكسكس والتّمر والرّمان".[3]

وفي وجهتهم إلى مصر بالتّحديد الإسكندرية مدينة مرّ "ببرقة" حيث قدّمت لهم أشهى الأطباق والمأكولات من الجوز والسّفرجل، السّمن واللّحم"[4].

كما خصّ الذّكر مشروب القهوة إذ قال أنّه: "مشروب اختلفت حوله الآراء إذ اعتبرت بمثابة دواء يزيل كل ما يحصل بالرّأس من تدويخ بسبب السّهر والتّعب واللّهو وخلوّ المعدة صباحا فإذا

---

[1] نادر كاظم، **تمثيلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط /دراسات فكر**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004، ص 95.

[2] الحسين بن محمد الورتيلاني، **الرحلة الورثيلانية الموسومة "بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"**، مطبعة بييروفونتانا الشرقية، الجزائر، ط1، 1907، ص 178.

[3] المصدر نفسه، ص 185.

[4] الرّحلة ،ص 221.

شربها الإنسان وجد في أعضائه نشاطا وأحسّ بخفّة. وشاربيها فريقين فريق يشربها في مكان مزخرف من اللّهو وحضور الجواري والغناء، وفريق يشربها في مساكنهم وحوانتهم وقد يتضرّروا بتركها"[1].

وذكر الرّحالة أيضا "أن هناك من يستعملها صباحا مع كعك أو كسرة أو خبز كما تقدّم للضّيف من أجل حسن الضيافة."[2]

نجد الورتيلاني في أثناء إحساسه بالجوع ذكر أنّه "دخل المسجد الأزهر في مصر فإذا بالشّيخ سيدي الهاشمي قدّم له نحو رطل من معجون التّمر معه رغيف."[3]

وفي طريق العودة عند دخولهم طرابلس ذكر الرّحالة أنّه" قدّموا لهم في مدينة "بن غازي" طعاما من اللّحم والخبز ونوعا آخر يسمّى الفطير وعند بعض النّاس يسمّى المسمّن والتّمر الجديد."[4]

ولما بلغ دار سيدي يوسف بن بشران "وجدوا مائدة من النّوع الذي يسمى المحمصة فأكل معه ووضع السّمن في القصعة."[5]

بالإضافة إلى أهل مكّة المكرّمة وما يقومون به من مدح الرّسول صلّى الله عليه وسلّم إذ تقدّم أطباق من اللّوز والسّكر بين الصّفين ويفرّق ذلك على الحاضرين ويقوم بعدها المنشد ينشد قصائده.[6]

قصائده.[6]

يتّضح لنا مما سبق أنّ الرّحالة قدّم صورة حسنة طيّبة عن كل أهل البلدان العربيّة التي مرّ بها، وما قدّموا لهم من حسن الضيّافة وكرمهم عليهم وإحساسهم بالرّاحة والأمان من تعب السّفر ومشقّته، إذ نجد أن كل الأماكن تشابه في أكلها، إلا أنّ التّسمية فقط تختلف من بلد لآخر.

ب–اللّباس:

[1] الرحّلة، ص 267.
[2] الرّحلة، ص 278.
[3] الرّحلة، ص 300.
[4] الرّحلة، ص 618.
[5] الرّحلة، ص 622.
[6] الرّحلة، ص 510.

يعدّ اللّباس شكلا من أشكال الحضارة، فهو يعبّر عن ميزات كل بلد، ولكلّ منطقة زيّها الخاص بها الذي تتميّز به عن باقي المناطق الأخرى، وهو ما ذكره لنا الرّحالة في رحلته من خلال التّحدث "عن ملابس السّناجق والولاة والأمراء والقضاة في أثناء خروجهم في النّصف من شوال أو قبله في مدينة الكسورة كل واحد مع أتباعه ولكل واحد مجلس معلوم في السجاقة المضروبة ومجلس الباشا في الوسط .... فتخرج أمامه طائفة من الشّاوشية على أرجلهم جلود النّمر وعلى رؤوسهم طراطير طويلة من اللّمط لها ذيول معكوفة بين أكتافهم وعلى جباههم صفائح من الفّضة مستطيلة مع الطّراطير التي فوقها، مموها بالذّهب تلمع لمعانا."[1]

كما ذكر كيفيّة كسوة الجمل إذ يرصّع بالذّهب من رقبته لسائر أعضائه، جلده مخصوب كلّه الحنّاء ثم يحملونها على رؤوسهم ويتبرّكون بها.[2]

وتحدث أيضا في أثناء عودته من الدّيار المقدسة ودخولهم مصر عن ملابسها الفاخرة التي طغت الأسواق وتخطف نظر كل من مرّبها.[3]

وأخبرنا الورتيلاني أن الرّحالة والرّكب الذين ذهبوا معه عندما مرّوا بقرية رابغ "اشتغلوا بغسل ملابسهم وتنظيفها وشراء النّعال."[4]

قدّم لنا الورتيلاني فكرة عن كيفيّة لباس الملوك والأمراء وأنّه لباس مصنوع من جلد الحيوانات، كما تحدّث عن الجمل وطريقة كسوته بالذّهب والمعروف أن الذّهب صيغة تتزيّن بها النّساء في المناسبات والأفراح.

ج- المرأة:

عرّف المتخصّصين مصطلح المرأة كلّ حسب تخصّصه ورأيه الذي يجده مناسبا لهذا المصطلح، فمنهم من عرّفها بالعواطف والأحاسيس، ومنهم من ذهب إلى المجتمع الذي تشغله داخله[5]. وقد ظهرت المرأة في رحلة الورتيلاني بوصفها من خلال أهل الرّكب إلى الحج "أنّ نساء الملوك كانوا

[1] الرّحلة، ص 262.
[2] الرّحلة، ص 263.
[3] الرّحلة، ص 555.
[4] الرّحلة، ص 358.
[5] هيثم الباقر، تعريف المرأة، الحوار المتمدّن ،2015، https://www.m-ahewar.org ،

يسيرون على أرجلهنّ بما فيهم نساء السّلاطين نظرا لحبّهم ولهفتهم لزيارة بيت الله إلاّ أنّ عياله حملهم الجمل في المهيأ".[1]

كما ذكر ولادة زوجة سيدي عبد الرّحمان الذّوبي أثناء إقامتهم بخيامه وفرحته بمولوده الجديد.[2]

وتحدّث عن نساء الحجاز" أنّهم لا يكثرن الطّيب عند الخروج من بيوتهنّ ويتّصفنّ بالتّستّر وأن كلامها عورة لا يسمعه غريب، ويلبسون الخفاف السّود ويسدلن من أزرهنّ".[3]

كما ذكر طائفة أخرى من النّساء اللّاواتي يتزيّن بالملابس الفاخرة والكحل والجوز استياكا والخضب بالحنّاء ولبس الحلي من الفضّة وغيرها.[4]

فالمرأة العربيّة والإسلاميّة بخاصّة تتسم بالعفة والطّهارة من خلال زيّها المحتشم والفضفاض، واتّباعها للأحكام الشرعيّة والقواعد الإسلاميّة التي تدلّ على حيائها والابتعاد عن كل ما يحدث الشّبهات حتى لا تقع في الزّنى.

د- الزّواج:

يختلف الزّواج من إقليم لآخر من حيث التّحضيرات والأكل واللّباس والأطباق أو طريقة الاحتفال والزيّنة وغيرها، ومن هذه التّحضيرات ليلة الزّواج أو ما يسمّى بليلة الدّخلة، فالورتيلاني قال في ذلك: "أنّ في ليلة الدّخلة أتى الرّجل ومعه جماعة كبيرة من أصحابه وأقاربه وأهله ومعهم الشّموع حتى يوقف به على باب المسجد بعد العشاء الأخيرة فيدخل ويسلّم على النّبي صلّى الله عليه وسلّم ويدعو فيخرج ثمّ يذهب به كذلك فيزفّونه بالغناء و الأهاليل إلى بيت المرأة في دار أهلها. "[5]

[1] الرّحلة، ص 333.
[2] الرّحلة، ص228.
[3] الرّحلة، ص 468.
[4] الرّحلة، ص 540.
[5] الرّحلة، ص 510.

فالرّحالة هنا يستغرب من عادة أهل المدينة في الزّواج حيث يزفّ الرّجل ويؤخذ إلى بيت العروس عكس عاداتنا أين تزفّ المرأة إلى بيت زوجها وتبقى هناك لتأسسّ أسرة.

هـ- العادات والتّقاليد:

تعدّ العادات جزء لا يتجزّأ من أصالة المرء وعرقه، فالعادات هي كلّ ما اعتاد عليه الفرد ويقوم بتكراره في حياته اليوميّة، أمّا التّقاليد فهي تقليد لكلّ ما أتى به جيل سابق قبله والاقتداء به فيصبح متوارثا. فالرّحالة أولى عناية خاصّة بذكر عادات أهل المدينة المنوّرة لأنّها وجهته لأداء الحجّ وتحدّث عن كل ماشدّ انتباهه نذكر منها:

إحياء عادة شهر شعبان من خلال الاحتفال بقدومه عكس عادتنا في قوله: "يخرجون إليها بالأخيمة والأطعمة الكثيرة في طرب وهو يوم النّصف من شعبان"[1]. وذلك بطبخ أشهى أنواع الطّعام، توزيع أرقى الملابس والتّصدق وإقامة مختلف العبادات، لكن الرّحالة يرى أنّه فيه نوع من المبالغة في هذه الأمور فالاحتفال يكون مرّتين في السنة بقدوم عيد الأضحى وعيد الفطر.

ومن عاداتهم أيضا الخروج يوم الجمعة للبقيع وزيارة القبور والأضرحة ووضع الرّياحين الكثيرة خاصة المشاهد المعلومة[2]، وتبديل أغطية الكعبة وتنظيف المسجد وهي عادة مشهورة في جميع البلدان الإسلاميّة في قوله: "كنس المسجد النّبوي، يؤتى بأغطية من ديباج أسود مخصوص بالذّهب، ...".[3]

وتعطيل الدّراسة يوم الثّلاثاء والجمعة على خلاف الجزائر يكون يوم الخميس والجمعة[4]، فهو يوم مبارك للعبادة والطّاعة ذكر في القرآن الكريم.

ذكر الورتيلاني أنّه عند موت أحدهم تقام له مراسيم الجنازة فيأخذونه إلى الحرم الشّريف ثمّ يصلّى عليه صلاة الجنازة، بعدها يمروّن به من أمام الوجه الشّريف ويوقف بها وقفة أخيرة، وآخر مرحلة هي مرحلة الدّفن[1].

[1] الرّحلة، ص 549.
[2] الرّحلة، ص 506.
[3] الرّحلة، ص 507.
[4] الرّحلة، ص 508.

كما يحتفلون ويرحبون بالحجّاج وهذا من جودهم وكرمهم وسخاءهم والقيمة التّي يحملها حاج بيت الله في قوله:" وصلنا زمّورة فلمّا سمعوا بنا لقينا من بها من العامة والخاصة فرحين مسرورين ببنادقهم إلى أن وصلوا إلى الهرج بسبب ذلك".[2]

فبمجرّد وصول الحجّاج والمسافرين تقام لهم الحفلات وتضرب الطّبول، ويسمع صوت البنادق وتنصب الخيم فتملئ الطّرقات والأسواق فكتثر هناك الحركة من شدّة الفرح بقدومهم.

و- وصف المدن والقرى:

اهتمّ الورتيلاني في رحلته بوصف المدن والقرى ومن هذه المدن يذكر مدينة "الخنقة" وهي قرية مباركة طيّبة ذات نخل وأشجار في وسط واديين جبليين وقد قيل أنّها تشبه مكّة في وضعها في البركة."[3]

كما وصف مدينة "تورغا" اللّيبيّة بأنّها بلدة متقطّعة أول برقة فيها نخل كثير... سكانها يقطنون في الأخصاص ولا يبنون بالطّين إلاّ مواضع الخزين يبنونها بالطّين والأحجار يحفرون عليها فيستخرجونها وهي أحجار سود وبناؤهم لا يكاد ينهدم".[4]

ثمّ يأتي إلى العقبة السّوداء "وهي عقبة صغيرة في حرّة سوداء ذات أزهار وأشجار، وهي أوّل بلاد الجاز في الذّهاب والرّجوع بها جامع منيع منفرد وواسع، وبيوت فسحة الرّحاب."[5]

ويدخل الرّحالة تونس بالتّحديد مدينة سوسة فيقول: "أنّها بلدة طيّبة قريبة من حاضرة تونس لها سور عظيم، وحالها كريم، ووصفها نعيم، وطبعها نسيم، حلوة المذاق عزيزة الفراق، كثيرة الاشتياق..."[6]

---

[1] الرّحلة، ص 509.

[2] الرّحلة، ص612.

[3] الرّحلة، ص 105.

[4] الرّحلة، ص 213.

[5] الرّحلة، ص 346.

[6] الرّحلة، ص 670.

فالورتيلاني انبهر بتونس وبطبيعة أهلها وبمناظرها الرّائعة التي تزخر بأشهى الفواكه والنّباتات وأنّ زائرها في أثناء عودته يحسّ بالفراق.

ويستمرّ الرّحالة في القطر التّونسي وصولا إلى بلاد قسطيليّة التي تضمّ توزر والحامّة وقفصة، فيصف لنا مدينة توزر ويقول عنها "هي أمّ مدائن قسطيلية وهي مدينة كبيرة عليها سور مبني بالحجر والطّوب فيها جمع محكم البناء وأسواق كثيرة حولها رياض واسعة فهي مدينة لها أربعة أبواب كبيرة...."[1]

الرّحالة يفصّل كل بلد ويصفه وصفا دقيقا سواء تعلّق الأمر بالعمران أو أبوابه المشهورة التي تدلّ على سموّه ورقيّه الحضاري والعمراني .

ومن تونس يتّجه نحو مدينة قسنطينة بالقطر الجزائري، تقع شرق الجزائر في الحدود التّونسيّة، وهي مدينة عريقة وتاريخيّة أهلها ذوي علم وجاه، وهي بلدة ولادة العلماء والفقهاء، فيها ثلاث أبواب مشهورة باب الوادي، باب الجابية، باب القنطرة وبويّب صغير يسلكه الآدميّ، وفيها أسواق كثيرة، يمتازون ببيع الاشياء النّحاسيّة الغنيّة بالزّخارف اليدويّة...."[2]

الورتيلاني لم ينس ذكر بلاده ووصفها وما تزخر به من حضارات وثقافات مختلفة ومتعدّدة وممارسة أهلها لمختلف الحرف اليدويّة التي توارثوها جيلا بعد جيل، وأنها وليدة للعلم والعلماء كغيرها من سائر البلدان.

ومن هنا نجد أن الرّحالة قدّم لنا تقريرا عن كل بلدة مرّبها، ووصفها وصفا دقيقا يساعد القارئ والباحث في معرفة كل بلد وبما يشتهر من عمران وأبواب ومعالم حضاريّة بني على أساسها.

ثانيا/ النّسق التّاريخي:

كان النّسق التّاريخي حاضرا في الرّحلة حيث طعّم الورتيلاني رحلته بالأحداث التاريخية، ما جعل الرّحلة تأخذ طابعا تاريخيّا، إذ وظّف الرّحالة العديد من القصص التاريخي خاصة بكل بلد مرّبه وأشار إليها، ويتمثل ذلك في:

[1] الرّحلة، ص 673.

[2] الرّحلة، ص 685.

أ. بناء مدينة القيروان:

أشار الرّحالة في رحلته إلى قصّة بناء القيروان من قبل عقبة بن نافع بعد ما ولّاه معاوية بن أبي سفيان، ونشر الإسلام في إفريقيّة وقتل النّصارى ومحاربتهم وأخذ القيروان عزّا لهم وفخرا واتقفوا أن يكون أهلها مرابطين، لكنّهم اختلفوا في موضع القبلة واتخذوا من النّجوم مطلعا يهتدون به بالرغم من هذا واجههم أعداء كثر منهم دينارا المكنى بـ أبا المهاجر الذي قام هو الآخر ببناء مدينة أطلق عليها باسم البربر وعمل على عمارتها وإخلاء القيروان، فدعى عقبة الله متضرعا له واستجاب له الدعوة وقام أبي المهاجر بتخريب المدينة التي بناها ورجع للقيروان وعمارتها من جديد[1].

يبين الرّحالة قصّة بناء القيروان من قبل عقبة بن نافع، ونشر الإسلام لأنه دين الله عز وجل ومحاربة النّصارى وقتلهم وعدم للاستسلام حتى الوصول للهدف المراد وهو بناء مدينة يشعّ فيها الدّين الإسلامي.

ب- فتح مدينة باغية:

تحدّث الرّحالة عن قصّة تاريخية أخرى وهي فتح مدينة باغية بقوله: "أنّ زهير بن فيس البلوي مضى في عسكر عظيم حتّى بلغ مدينة باغية وجمع النّصارى بها فقاتلهم قتالا عظيما فانهزموا فنتج عن ذلك خروجهم منها وأصبحت مستقلّة، فهي مدينة ذات أنهار وثمار ومزارع ومسارح مقرّبة من جبال الأوراس المطلّة عليها المتّصلة بالسوّس...".[2]

ذكر لنا الرّحالة فضل قيس البلوي في فتح مدينة باغية وتخليصها من وطئة النّصارى فعمل جاهدا على إخراجهم منها ونجح في ذلك فهي مدينة تزخر بمناظر جميلة وأشهى انواع الثّمار.

ج- خبر الكاهنة:

وصف الرحّالة هذه الحادثة التي وقعت أحداثها بين الكاهنة وحسّان ابن النّعمان بسبب أسرها لأصحاب حسّان حوالي ثلاثين رجلا منهم خالد بن يزيد العبسي كان رجلا شريفا مؤمنا

[1] الرّحلة، ص 95.

[2] الرّحلة، ص 95.

صادقا. فكان على حسّان استرجاع هؤلاء الرّجال بعد اختياره لهذه العمليّة، فكانت الكاهنة قد أطلقت كل أصحابه التي أسرتهم وأحسنت إليهم إلاّ خالد بن يزيد لم تتركه وبقي أسيرا، كان لها ولدان فقالت له :إنّي أريد أن أرضعك مع ولديّ هاذين فقال لها كيف يكون ذلك وقد ذهب منك الرّضاع؟ فقالت أنا جماعة من البربر لنا رضاع متوارث ثمّ عمدت إلى دقيق من الشّعير وأخلطته بزيت ووضعته على ثديها ثم أمرت ولديها أن يأكلوا منه مع خالد فأكلوه، وقالت: أنتم إخوة من الرّضاع.... فلمّا وصل حسان خرجت الكاهنة ناشرة شعرها تضرب على صدرها وتقول ذهب ملككم في نبات الأرض، وكانت قد ملكت إفريقيّة حوالي خمس سنين منذ انصراف حسّان عنها، وبعدها خرجت الكاهنة فاشتدّت الحرب فقامت بالهروب فلحق بها حسّان وقتلها بقط رأسها عند بئر يعرف ببئر الكاهنة[1].

نقل لنا الرّحالة قصة تاريخية بين الكاهنة وحسّان ابن النّعمان الذي كان ملكا على إفريقية بعد أن أخذتها منه، ففي وصف إحدى المؤرّخين" إفريقية " أنها كانت متصلة من طرابلس إلى طنجة بمثابة ظلّ واحد. الأمر الذي جعل حسّان يصرّ على استرجاع أصحابه واحدا تلوى الآخر والأخذ بالثّأر منها فظلّ يحاول حتى نال منها وقتلها وقطع رأسها لتبقى عبرة.

د- مدينة القلزم:

هي مدينة مرّ بها الرّحالة في أثناء رحلته فقال: "أنّها المدينة التي ينسب إليها البحر الذي بالقرب منها غرق فيه فرعون قال المقريزي في خططه وقد عرف بهذا البحر وذكر في تفاصيله وأنّ مبدأه من البحر الكبير المحيط بالأرض المسمّى ببحر الظّلمات لتتكاثف البخار المتصاعد منه وضعف الشّمس عن حلّه فيغلظ وتشتدّ الظّلمة ويعظم موج هذا البحر وتكثر أهواله ولم يوقف من خبره سوى ما عرف عن بعض سواحله وما قرب من جزائره."[2]

أصبحت قصّة غرق فرعون من القصص الشائعة في مدينة القلزم، فهي مكان يستريح فيه الحجّاج من طريقهم الشّاق والمتعب لمكّة، وينس لها البحر الذي أغرق فيه الله تعالى فرعون وقومه بعد ملاحقتهم لسيدنا عيسى عليه السّلام وأصحابه.

[1] الرّحلة، ص 104،105.

[2] الرّحلة، ص 321.

هـ- صوت الطّبول:

ذكر الرّحالة أنّه في أثناء رحلته إلى بيت الله يسمع صوت الطّبول في قوله :" وقد سمعته في الأولى والثّانية وهذه على شك إلاّ أنّ بعضهم يقول هو حوافر الدّواب تضرب بأرجلها فتسمع كالطّبل وقال بعضهم الرّيح تهبّ وتلتقي مع بعض الأحزام الخاوية فيردّها حائط الجرم فيسمع صوتها كالطّبل وهو من المعجزات الباقية لحدّ الآن....".[1]

يوجد هناك مكان كلّما مرّبه الرّحالة جلسوا ليأخذوا قسطا من الرّاحة من مشقة الطّريق وبعده متّجهين لبيت الله الحرام، سمعوا صوت الطّبول ولم يعرف مصدرها الأصلي، وقيل أنّه هناك الكثير من القصص.

و- بناء الاسكندريّة:

تعدّدت القصص حول بناء الاسكندريّة منها: "أنّه هناك من قال أنّ أوّل من قام ببنائها الإسكندر وهناك من قال من بناء "دلوكة" ملكة مصر، ويقال: أنّ طولها كان ألف ذراع وكان في أعلاها تماثيل من نحاس منها تمثال قد أشار بسبّابة يده اليمنى نحو الشّمس أينما كانت من الفلك يدور معها حيث دارت، ومنها تمثال كلّما مضت من اللّيل ساعة صوت صوتا مطربا وكان بأعلاها مرآة ترى منها القسطنطيليّة وبينهما عرض البحر ..."[2]

وقيل:" أنّ عند بناءها أخرج ذو القرنين رخامها بالرّخام الأبيض جدارها وأرضها فكان لباسهم فيه السّود والحمرة فمن قبل ذلك لبس الرّهبان السّواد من نصوع بياض الرّخام ولم يكون يسرجون فيها باللّيل من بياض الرّخام، إذا كان القمر أدخل الرّجل الّذي يخيط باللّيل ضوء القمر في بياض الرّخام الخيط في حجر الإبرة وكانت الاسكندريّة بيضاء تضيء باللّيل والنّهار."[3]

ممّا سبق يتبيّن أنّ بناء الاسكندريّة شكّل الكثير من القصص والعجائب التي انتشرت وتناقلت جيلا عبر جيل، منها من ذكر أنّ بناءها كان من قبل "دلوكة" ملكة مصر وجعلت من أعلاها تماثيل

[1] الرّحلة، ص 375.
[2] الرّحلة، ص 565.
[3] الرّحلة، ص 567.

نحاسيّة مختلفة، وهناك من أرجع بناء ها إلى ذا القرنين لهذه المدينة فأراد أن يتفنّن ويبدع فيها عمّا كانت عليه قبل، حيث بنيت بالرّخام الأبيض وحددّ اللّباس الأحمر والأسود كي لا يعكس لون الرّخام. فالقصص كثيرة ومتعددّة حول بناءها وتأسيسها.

من خلال ما سبق نجد أنّ الرّحالة رصد لنا العديد من الأحداث التّاريخيّة التي تناقلت جيل بعد جيل وبقيت إلى حد الآن حول كيفيّة بنائها والسّر وراء ذلك، فهذه القصص تعتبر سجّل تاريخي يحمل في طيّاته حضارات العديد من الأمم حفاظا عليها من الضّياع، والتّعرف على تاريخ كلّ بلد يمرّ به الرّحالة أو الباحث.

ثالثا/ النّسق الطّبيعي:

لقد شكّلت الطّبيعة منذ القدم الملجأ الأوّل للإنسان والحضن الدّافئ الّذي يرتمي في أحضانه، فكانت أشدّ اتّصافا بحياتهم وأكثر تغلغلا بكيانهم فالعلاقة بين الإنسان والطّبيعة علاقة أزليّة، فالرّحلة تزخر بذكر العديد من المناظر الطّبيعيّة التّي تركت أثرا في نفس الرّحالة ووصف في رحلته بعص الأودية نذكر منها:

أ-الوديان:

وادي العفيف وهو من المواضع المباركة التذي ينبغي زيارتها فهو واد مبارك يقع غربي المدينة وراء الجرّة الغربيّة يأتي سيله في أماكن بعيدة، ماؤه عذب، سميّ بالعفيف لأنّه صدر العفيف وهما عفيفان أدناهما عفيف المدينة وهو أصغر وأكبر فالأصغر فيه بئر رومة والأكبر فيه بئر عروة والعفيف على الآخر على مقربة منه سمّي بذلك لحمرة موضعه.[1]

وادي بطحان وهو الوادي المتوسّط بيوت المدينة ودور الأنصار غالبها على حافّتيه شرقا وغربا، ولابن ذبالة يأتي من الحالتين حالتي صعب على سبعة ....[2]

وادي فنا وهو أعظم أودية المدينة سبيلا فإنّ سبيله يأتي من الأماكن البعيدة سمّي أيضا بالشّظاة....[1]

[1] الرّحلة، ص 523.

[2] الرّحلة، ص 526.

ب-الآبار:

كما تحدّث أيضا عن الآبار الذي يقال أن الرّسول صلّى الله عليه وسلّم شرب منها أو توضأ فيها نذكر منها:

كما تحدّث عن "بئر حسّان وهو بئر تجتمع فيه مياه المطر فإذا فرغ المجتمع فيه بقي محلّه يرشح بماء قليل يجمّ في قعره."[2]

بالإضافة إلى "مدينة الزّعفران الّذي انبهر بخصبها العظيم وأنوار النّبات التي تغشي النّاظر ويطمئنّ لرؤية الخضر والبحر وماؤها أحسن المياه وهو أبيض كاللّبن في نقائه.[3]

كما ذكر الورتيلاني المعادن الطّبيعية التي تزخر بها بلدان العالم العربي "كمعدن الكبريت الذي يوجد في آبار كثيرة يحمل منها الطّين من طرابلس إلى مصر."[4]

وفي أثناء سيرهم في الرّكب وجدوا آبارا مملوءة بماء المطر فشربوا الناس منها

وسقوا دوابهم، ووجدوا أشجار كثيرة مثمرة من التّين والخرّوب وشجر الرّمان والزّيتون وغيره....[5]

وتحدّث عن "وادي الرّهبان بأنّه واد كبير ذو رمل فيه شجر النّخل وماؤه كثير به أنواع الوحش والبقر والنّعام."[6]

ونجده ذكر "الدّار الحمرة وهي بلدة خارج مصر يتحدّث عن مياهها العذبة وآبارها التي تحمل مياها طيّبة يحفز الإنسان بيده فينبع له الماء قريبا بحيث تتناول الدّابة منه بغير كلفة."[7]

---

[1] الرّحلة، ص 527.

[2] الرّحلة، ص 215.

[3] الرّحلة، ص 216.

[4] الرّحلة، ص 218.

[5] الرّحلة، ص 233.

[6] الرّحلة، ص243.

[7] الرّحلة، ص 318.

ووصف كذلك "مدينة رابغ" وهي قرية فيها نخيل وآبار كثيرة ومتعددة في واد يأتي إليه السّيل تزرع فيه الذّرة وهو من أجود النّباتات وأخصب أودية الحجاز، يشغل النّاس في أثناء رحلتهم إذا مرّوا به بالتّنظيف والغسيل والسّقي منه.[1]

بئر أريس إلى رجل من اليهود اسمه أريس وهو الفلاح بلغة أهل الشّام ماؤه غزير يسقى منه بركة في الحديقة وفي هذه الحديقة أنواع من الفواكه والأشجار بها عنب كثير فلما يدخل أحد للزّيارة في وقت العنب إلا أكله واشترى منه."[2]

بئر البصة "قال المطرزي النّاس يختلفون فيها أيتها بئر البصة والصغرى التي تلي أطم مالك ابن سنان ولد أبي سعيد الخذري رضي اللّه عنه ورجح السّيد أنّها الصغرى حاكيا عن غيره في الأطم المذكور."[3]

بئر بضاعة هو بئر في جهة الشّمال من المدينة يطرح فيه ما يكره من النّتن فقيل الماء لا ينجسه شيء وفي رواية أخرى أنّ ما غلب على ريحه ولونه وطعمه وقيل أنّه بئر بصق فيه النّبي صلىّ الله عليه وسلّم فتوضّأ من الدّلو وردّ الماء غلى البئر وكان إذا مرض المريض في أيّامه يقول اغسلوني من بئر بضاعة.[4]

"بئر بيرحا وهو اسم رجل وامرأة وأنّها كانت مستقبلة المسجد وكان الرّسول صلّى اللّه عليه وسلّم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيّب وهي اليوم حديقة صغيرة قريبة من صور المدينة شماليّة بينهما الطّريق وأقرب أبواب المدينة باب البقيع".[5]

لم يكتف الرّحالة بذكر المدينة ومناظرها الطّبيعيّة، بل ذكر كلّ ما جذب نظره في كلّ بلد مربه، إذ نجده تحدّث عن مدينة طرابلس بالتّحديد مدينة تورغا فهي بلدة كثيرة النّخل وتمره أحسن

[1] الرّحلة، ص 358.
[2] الرّحلة، ص 494.
[3] الرّحلة ص 494.
[4] الرّحلة، ص 494.
[5] الرّحلة، ص 495.

تمر، وفيها ماء قبيح لا يشرب امّ عن البحر ورطوبته ودخوله ليلا حيث تكاد اليبوسة تستوي وماؤها غزير، وآخرها واد من الملح يجري الماء على الأرض فلا الماء يجمد ملحا ولا الملح يذوب ماء.[1]

وذكر جبل يوجد بمدينة "درنة" وقيل أنّه:" جبل واسع الأطراف شامخ الطّول كثير الشّجر، خصبه لا نظير له، عرضه ضخم الجثّة، يوجد بيه ماء عذب طيّب نقي، مرعاه قليل الوجود أعني البقر والغنم، وقالوا أنّ هذا الجبل كثير الخيرات من السّمن والعسل..."[2]

بالإضافة إلى وادي الآراك وهو واد واسع يأتي من ناحية الشّمال والبحر عن يمينه فيه كثير من شجر الآراك الأخضر النّاعم سمّمي بوادي الآراك نسبة لشجر الآراك الذّي ينمو فيه.[3]

وجد الورتيلاني من خلال رحلته أنّ جميع البلدان العربيّة التي مرّبها تزخر بمناظر طبيعيّة تبعث في النّفس الرّاحة والطّمأنينة، والتّعجّب في خلق الله تعالى فهذه الطّبيعة زاخرة بالثّروات المتنوّعة والمختلفة، وتحتوي على أبهى أنواع الثّمار وأجودها والحيوانات من إبل وبقر وغنم.... بالإضافة إلى تنوّع المجاري المائيّة من آبار ووديان ومدى أهميّتها وما تملك من قيمة تعود على المارّ بها.

[1] الرّحلة، ص 214.

[2] الرّحلة، ص 610.

[3] الرّحلة، ص 344.

فصل ثانٍ: النّسق الدّيني والثّقافي

أوّلا/ النسق الديني:

أ. العلوم الدّينيّة:

- 1- القرآن الكريم
- 2- التفسير
- 3- الحديث
- 4- الفقه
- 5- التّصوّف

ثانيا/ النسق الثقافي:

أ_ العمران والآثار الماديّة

ب _الحركة الأدبيّة: - الشعر.

- الأمثال والحكم.

أوّلا/ النّسق الدّيني:

أ- العلوم الدينيّة:

ممّا لا شك فيه أنّ فكر الإنسان يتطوّر مع تطوّر متطلّبات عصره، ولا بدّله أن يساير هذا العصر فمنذ بدائيته وهو يعمل فكره في النّظر في الأشياء، فكان يفّسرها بغير منطق وبرهان بواسطة حكايات وأساطير مبيّنة على خياله فقط.

فهمّه الوحيد كان الإجابة على سؤال الوجوديّة، وعلاقته مع نفسه وغيره ولابدّ له من نظام يسيّر حياته ذلك ما حتّم عليه اللّجوء إلى شعائر وطقوس عبّر من خلالها عن نفسه واعتبرها تفسيرات منحته السّلام الدّاخلي، أمّا بمجيء الإسلام فتغيّرت كل هذه المفاهيم وظهرت مفاهيم ومصطلحات من أبرزها: الجنّة، النّار، الحساب، الملائكة، الآخرة ....، وكان المرجع والمرشد هو القرآن الكريم ولايزال ليومنا هذا، فوضّح المفاهيم الغيبيّة وفسّرها تفسيرا علميّا منطقيّا بما فيها الدّين الذي هو "وضع إلهي سائق لذوي العقول باختياراتهم إيّاه ، إلى الإصلاح في الحال والمال"[1].

أي أنّ الدّين هو تنزيل الله يقود صاحبه للتّفكير بمنطقيّة في اتّخاذ ما يقدّم عليه سواء عبادة وقرارات يوميّة أو حتّى الحكم في أشياء مصيريّة، فمن غير المعقول أن يكون فيه مغالطات أو أضرار للإنسان بل صلاح ومنفعة ورشد، فيمنح النّاس راحة البال والرّضا، كل هذا ينطوي تحت قدسيّة الدّين.

أمّا الفيلسوف الغربي إيميل دوركايم فيقول: "هو نسق متكامل وموحد يضم مجموعة العقائد والممارسات المتّصلة بالأشياء المقدّسة، لتلك العقائد والممارسات وتمارس في مجتمع صغير يسمّى الكنيسة".[2]

يرى إيميل دوركايم أنّ الدّين يوحّد النّاس عن طريق خصائصه العقيدية المتمثّلة في الطّقوس ومدى قداستها، ثمّ اقتصر على حيّز مكاني وهو الكنيسة باعتباره غربي لا يدين بديننا الحنيف، فهذا الأخير أراد أن يعرّف الدّين وفق ما رآه في مجتمعه الغربي على أنّ المكان هو استدعاء لثقافة متجذّرة،

[1] بدر الدّين التّهاوني، **اللّوامع**، تح: عبد السلام هارون، دار العلم للملايين، سوريا، ط3، (د، ت)، ص 541.

[2] إيميل دوركايم، **أصل التّفكير**، تر: خالد البحري، دار ابن رشيق للنّشر، تونس، (د، ط)، 2005، ص 169.

فالإنسان يولد صفحة بيضاء والآخر والمجتمع يقوم بالنّقش عليها من خلال التدخّل في سلوكه وديانته، فلا شعوريّا يتّبع ما اتبعوه من دين وثقافة وعلوم.

من خلال التّعريفين السّابقين نخلص إلى القول أنّ الدّين مقدّس يقوّم السّلوك ويجعل الإنسان يعيش وفق نظام بغضّ النّظر عن هذا الدّين سواء كان دين الإسلام أو غيره من الأديان ، لكن بما أنّنا مسلمون ونحتكم دائما بالقرآن الكريم ، وباعتبار الحيّز العربي الذي شجّع على العمل به ،وإن صحّ التّعبير أنّ تنوع الأديان اعتبره شيئا عاديّا ، ذلك مكّن البعض من التّهجم على المقدّسات الدينيّة، بما فيهم القرآن الكريم والدّين الإسلامي وتحريف وتكذيب كل ما جاء به لكن دين الله دين عسر لا يسر في قوله تعالى :**"إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلاَمْ"**[1]،حقيقة وجزم.

ما نخلص إلى أنّ الدّين نسق جماعي، يجمع بين الأفراد، وقد جاءت الرّحلة الورتيلانيّة على أنساق دينيّة متعددّة سنعرضها ونوردها، فكيف كانت هذه الأنساق في الرّحلة؟ وما أضفته عليها؟

وذلك من خلال العلوم الدينيّة المذكورة نبدأ الحديث أوّلا مع:

السّلام منقول إلينا بالتواتر عن طريق التّلاوة الصّحيحة مبدوء بسورة الفاتحة ومختوم بسورة النّاس معجز بلفظه ومتعبّد بتلاوته، وقد وظّفه الورتيلاني في رحلته لقيمته الكبيرة وللاتّعاض به والسّير على منواله في كثير من المواقف التّي صادفته في اثناء رحلته ومن أبرزها نذكر ما يلي:

أ- القرآن الكريم:

شرعا هو كلام الله المعجز، المنزّل إلى محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السّلام، وهو المنقول بالتّواتر ، متعبّد في تلاوته المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة النّاس.

سورة محمد:

وظّف الشّيخ الورتيلاني سورة محمّد في حديثه عن الشّيخين "ابن يلس" والشّيخ أحمد بن صخري أثناء أداء الحج،

[1] سورة آل عمران، الآية [19].

فقال: **"فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلُ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللهُ الْغَنِيُّ وأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ "**[1]

تحدّث هنا عن ظاهرة البخل التي انتابتهما، وكيف ترجع هذه الصّفة الذّميمة على أصحابها رغم تواجدهم في الحج الذي يمثّل موطن الجود والعطاء والكرم والخيرات لكن البخل طغى عليهما، إذ اقتصر على الاستشهاد من القرآن الكريم لكي يخبرنا بنتائج هذه الصّفة وعواقبها.

كما استشهد بها مرّة أخرى في حديثه عن علامات السّاعة الكبرى والصّغرى، حيث فصّل فيها، وذكر الآية كدليل قاطع على هذه العلامات، وغفلة النّاس وتناسيهم أنّ الموت آتي دون ميعاد، في قوله تعالى:" **فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَى السَّاعَةِ أَنْ تَأْتِيهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا"**[2].

سورة البقرة:

وذلك من خلال تعجّبه من أحوال الشّيوخ ومواطنهم فعلى الرّغم من تمسّكهم بالدّين وتعبّدهم الذي انعكس حتّى في لباسهم ، إلاّ أنّ النّساء يفسقن وهنّ في جوّ من اللّهو والمجون فلباسهنّ غير محتشم وصفاتهم ذميمة عددّها في السّكر واللّهو والمجون ، فاتّخذ بدوره المرشد الواعظ ،لكن لم يجد ذلك نفعا لذلك قال لقوله تعالى:" **ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قُسْوَةً"**[3]، يصف من خلال ذلك الغمام الذي كان يغطّي أعين هؤلاء النّسوة، فكلّما دعاهم إلى التّوبة وطريق الله، كانوا لا يصغون شيئا.

سورة الفاتحة:

في قوله تعالى: **"المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِينْ"**[4]

استشهد الورتيلاني بسورة الفاتحة في حديثه عن اليهود، ليفسر لنا مسألة واضحة وهي الفصل في أنّ الضّالين على الطّريق يمكن هدايتهم ويقصد هنا النّصارى، أمّا المغضوب عليهم فهم اليهود فلا هداية

[1] سورة محمد، الآية [38].
[2] سورة محمد، الآية [18]
[3] سورة البقرة، الآية[74]
[4] سورة الفاتحة، الآية [7]

لهم فمهما وعظناهم ونصحناهم بالأدلّة والحجاج والبراهين إلاّ أنّهم في غفلة وكذلك حال الفئة التي تحدّث عنها الرّحالة في رحلته وحديثه عن اليهود وكفرهم ومقتهم.

سورة الزّمر:

قال تعالى: **"وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللهُ "** [1]

هنا الورتيلاني بصدد الحديث عن قيام السّاعة والمسيح الدّجال، فيريد ان يشرح ويفصل في حديثه، عن هول هذه اللّحظة التي تسمّى نفخة الصعق التي يموت بها الأحياء ويبقى جل جلاله دائما أبدا، وقد ذكر الورتيلاني هذه الآية رغبة منه في صحو هؤلاء الغافلين وإقراره بحقيقة حتميّة آلا وهي أنّ الموت حقيقة والسّاعة لابد منها فلا يبقى غير الله الأحد.

سورة الحج:

كما وصف الورتيلاني النّصر في سورة الحج في قوله:" **الّذين أُخْرِجوُا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبّنَا الله وَلَوْلاَ دَفَعَ الله النَّاسَ بَعّضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعَ وبِيَعُ وَصَلَوَاتُ وَمَسَاجِدُ يُذْكِرَ فيهاَ اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهِ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهِ لَقَويُّ عَزِيزُ"**[2]

وذلك في حديثه عن الهداية واتباع طريق الصّلاح، الذي طلبها وتمنّاها لغيره ولنفسه، فقد كان يتعجّب

من أحوال هؤلاء الزّنادقة اللذين ينافقون ويبدون صفاتهم الذّميمة، عن طريق الوصول إلى ما أرادوه بالنّفاق والوعود الكاذبة، فحمل على عاتقه دور المرشد وطلب الغفران والهداية في ذكره لسورة الحج.

سورة الرّوم:

قال الرّحالة في حديثه عن الروّم موردا قوله تعالى :**"أَلَمْ غَلَبَتْ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلْبِهِمْ سَيَغْلَبُونْ"**[1]

[1] سورة الزمر الآية 68]

[2] سورة الحج الآية[40].

فالورتيلاني هنا يتحدّث على لسان ابن الجوزي والفصل في مسألة هويّة الرّوم ومن هم هؤلاء الرّوم، إذ قرأ أنّ الرّوم هم التّرك لا النّصارى، ذلك مستنبطا من قول رسول الله، ويورد كيف انتصر هؤلاء على المسلمين وانتزعوا الخيرات منهم ومكوثهم لمدّة 409 سنة في الشّام.

سورة المائدة:

في قوله تعالى:" **لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَذِينَ آَمَنُوا الْيَهُودَ**"[2]

أراد الورتيلاني أن يورد لنا مدى كفر اليهود وكرههم للمسلمين، ومدى تمسّك هؤلاء اليهود بدينهم فلا يرجعون فيه أبدا ويعتبرونه مقدّسا يتحتّم عليهم اتبّاعه والمحاربة من اجل نشره فلا يرحمهم الله أبدا ويحل غضبه تعالى عليهم ن وهنا أراد أن يشبه الورتيلاني الذين كفروا بآيات الله ودينه.

سورة القلم:

في قوله تعالى: "**يَوْم يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تُرْهِقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعُوْنُ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ**"[3]

وظّف الورتيلاني هذه الآية عندما تحدّث عن يوم البعث أي يوم القيامة ومناداة الله لعباده بالسّجود، فلا يستطيعون ذلك لما صنعوه في الدّنيا فيشعرون بالمذلّة والخجل من الله سبحانه وتعالى لأنّ كل ما فعلوه مكشوف لله تعالى لا شيء ينقضهم من الحساب.

نخلص القول إلى أنّ الورتيلاني قد أورد الكثير من الآيات في رحلته كان يستشهد بها، ليبيّن عظمة القرآن، وهذا إن دلّ على شيء فإنّه يدلّ على أنّ الورتيلاني له زاد معرفي حافظ لكتاب الله ن متمكّن من أحكامه وهو ماعكس تربيته السّليمة وأسرته المحافظة، فكان متمسّكا بدينه وعلمه، إذ حجّ ثلاث مرّات، وبقي متمسّكا بنزعة الإصلاح.

[1] سورة الرّوم ،الآية [2]

[2] سورة المائدة، الآية [82].

[3] سورة القلم، الآية [43،42].

2_التّفسير:

إنّ التّفسير أحد العلوم الفقهيّة، فهو علم نزول الآيات ومعانيها وأقاصيصها وسبب نزولها، مبيّنا حلالها وحرامها، وقد اختصصناه في مجال الدّين لأنّنا بصدد دراسته من هذا الجانب في هذه الرّحلة، فقد وظّف الورتيلاني نماذج عديدة لتفاسير، فالتّفسير هو تبيان الشّيء المراد تفسيره، وإعادة صياغة الشّرح بصورة حسنة واضحة لا لبس فيها، تجعل منه متعارف عليه، فتكشف الزّواية المبهمة والغامضة، التي شكّلت له اللّبس.

ومن بين ما وظّف الورتيلاني، تفاسير عديدة قد تناول فيها تفسير الآيات القرآنيّة والأحاديث، إضافة إلى أقوال الفقهاء والعلماء، ومن بين هذه النّماذج اخترنا ما يأتي:

1-تفسير حديث يبلغ المرء بنيته ما لا يبلغه بعمله:

في هذا الصّدد أورد الورتيلاني هذا الحديث فقال "يبلغ المرء بنيّته مالا يبلغه بعلمه"،[1] فهنا يتحدّث عن أهل طرابلس وما يحملونه من محبّة لبعضهم البعض ن وبخاصّة من كانوا أهل الخير، ومنزلة عظيمة عند الله وأورد أنّ المعتقد والمحب كالمحسن وهذا تشبيه صريح منه فهو يرى أنّ الحسنة هي من تنجّي صاحبها، فمن تمنّى خيرا نجا، ومن تمنّى شرّا كفر وخاب، فيستدعي أمثلة من القرآن الكريم في قوله تعالى:" **إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً**"[2]

كما تحدّث عن وجود تناقض دائما، فالإنسان المؤمن لابدّ له أن يجد من يردعه وينقضه والله يجزي من أحسن عملا ونيّة.

واستشهد الورتيلاني في تفسيره لهذا الحديث بالأشعار والأقوال والقرآن الكريم ممّا يدلّ على أنّه متمكّن، وفي الأخير يقرّ بأنّ صفة الغش والخبث ليسمن ديننا ولا يجب الاتّصاف بها مستندا في ذلك إلى قول الرّسول صلى الله عليه وسلّم.

[1] الرّحلة، ص .136

[2] سورة الكهف الآية [30].

2-تفسير قول الفقهاء وصحي بالحرام وعصى:

لقد تحدّث الورتيلاني عن هذا القول الفقهي وفسّره بأنّه مذهب يتشابه مع مذهب أهل الفضل في المغفرة والوقوف بغرفة وقدسيّة المكان تفترض ذلك على من حولها. كما فسّر كثرة الزّاد ماهي إلاّ خوف وهذا موطن الحرام، فعلى المسلم أو المؤمن إنجاد أخيه المؤمن من احتياجات وسدّ النّقص الذي يعاني منه، فالرّحالة يقرّ أنّ هذه لا تنافي السّنة أو الشّريعة بل العكس، وعلى من حج أن يلتزم بما يكفيه وأن لا يغوض فيما لا يعنيه فبداية الحج بداية صحيحة تمنحه المغفرة والقبول. وأنّ الله لايكلّف النّفس إلاّ وسعها.

3-تفسير قول الله تعالى:" **يَا مَرْيَمُ اسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ**"[1]:

في هذا النّص القرآني يفسّر الورتيلاني هذه الآية على النّحو الآتي، فيورد لفظة الله والله أعلم لأنّه مجرد اجتهاد منه، فقال أنّ الله خاطب مريم وطلب منها الركوع لرفع مقامها أوّلا وثانيا لأنّ المؤمنين واللذين يعرفون الله على معرفة كبيرة بوجود الله وحده لا شريك له فدلّ عليهم بلفظة الراكعين أي أنّ الركوع لله وحده. فدل ذلك على إيمانهم وتمسّكهم بالدّين الحنيف، حيث قال الورتيلاني: "قلوبهم مع الحق وأجسامهم مع الخلق"[2]، هذه الصّفة التي فسّرها للراكعين بمعنى أنّ قلوبهم عقدة على الحق والحق هو الله تعالى لا غيره، فالرّوح متعلّقة بالله تعالى وهذا لشدّة الإيمان، فيمكن اعتباره طريقة من الطّرق الصّوفيّة في العبادة.

3-الحديث:

ممّا لا شكّ فيه أنّ الحديث هو قول أحد الصّحابة أو قول الرّسول صلّى الله عليه وسلّم في أحد الأمور، أو الأحكام، أي أنّ الحديث هو استحداث أمر من الأمور وإعادة النّظر فيها والرّحلة مليئة بنماذج من الأحاديث نذكر منها الآتي:

لقد حصرنا الحديث في صحيح البخاري وصحيح مسلم، وابتعدنا عن أقوال الأولياء الصّالحين والشّيوخ التّي ذكرها:

[1] سورة آل عمران، الآية [43].

[2] الرّحلة، ص291.

أ_ صحيح البخاري:

أورد الورتيلاني مقولة من أحاديث البخاري وهي: "إنّما صلّى الظّهر صلى الله عليه وسلّم بمكّة"[1]، فقد ذرها حينما كان يسرد ما فعله بعد فراغه من الطّواف، وكان ذلك حبّا لما كان يفعله الرّسول صلّى الله عليه وسلم، فبعد أن انتهى الورتيلاني من الطّواف اشترى الزّاد والماء وفضل إقامة الصّلاة في مكان الذي أقام فيه الرّسول صلّى الله عليه وسلّم فكلّ النّاس جعلوه قبلة للصّلاة والدّعاء فيه.

ثمّ توالى الحديث ليصل غلى عظمة جبل حراء أو غار حراء، وذهاب الحزن والبأس الذي يزوره، وتحدّث عنه بأنّه مهبط الوحي للرّسول صلى الله عليه وسلّم :"وفيه نزل الوحي أوّل ما نزل وفيه نزلت سورة اقرأ"[2]، هنا يريد الورتيلاني أن يفصح عن حقيقة مطلقة وهي عظمة الزّمان والمكان والشّخصيات، فقد ذكر الرّسول صلّى الله عليه وسلم وأبي بكر الصّديق وحادثتهما، وما قاله رسول الله لأبي بكر لكي لا يخاف ولا يحزن، ويقرّ بمكان نزول الوحي وما يحمله من قيمة عظيمة.

كما استشهد أيضا بقوله: "ربّ كاسية في الدّنيا عارية في الآخرة"[3]، وهذا القول لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والبخاري فصّل في شرحه والورتيلاني أورده في رحلته كمثال، ويخصّ الذّكر عن المرأة من تزيّن وتطيّب ولبس اللّباس الفاضح، لينهي قوله بضرورة التّستر والتّصاف بأمّ المؤمنين في حيائها وعفّتها.

كما تحدّث الورتيلاني عن واد قنا ومدى روعته واختلاف أسمائه واستفتاء رسول الله حوله فقال: " أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سال شعرا وأهل المدينة يخرجون إلى موضع أعلاه من ناحية المشرف وراء الحرة فيصمون فيه لأسبوع وأكثر"

من القول نخلص إلى أنّ هذا الوادي واد مبارك، يأتيه أهل المدينة ويقيمون فيه لمدى غزارته وقد ذكر أيضا الكثير من الأودية إلى أن هذا الوادي تميز عن غيره.

[1] الرّحلة، ص 398.
[2] الرّحلة، ص 407.
[3] الرّحلة، ص 407.

ـ وفي وجوب طاعة الله، والولادة قال الورتيلاني على لسان البخاري في قوله:

في صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله قال " بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقامة الصّلاة وإيتاء الزّكاة والسّمع والطّاعة لكل مسلم".

ـ فعلى كلّ مسلم الطّاعة والولاء، إن كان ذلك لأولى الأمر أو الأئمّة فمنه صلاح ومنفعة للمجتمع والإنسان في حد ذاته، أي صلاح البلاد والعباد.

ب-صحيح المسلم:

في صحيح مسلم من حديث عامر بن سعيد عن أبيه " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل ذات يوم من العالية حتى مر بمسجد بني معاوية دخل يركع ركعتين وصلينا معه ودعا ربّه طويلا ثم انصرف إلينا فقال سألت ربي ثلاثا فأعطاني اثنين "[1].

هنا تحدث الورتيلاني عن مرور الرّسول صلّى الله عليه وسلّم بمسجد بني معاوية، وما خلّفه من آثار قدومه كقدم بغله، حيث أقام الصّلاة في هذا المسجد. مطيلا في طلب الله فكان دعائه عبارة عن ثلاث أمنيات الا أنّ الله قد حقق اثنين فقط، وذكر الورتيلاني أنّ الأمنية الثّالثة كانت أن لا يجعل الله بأس هؤلاء بينهم.

4-الفقه:

هو معرفة الكتاب والسّنة معرفة دقيقة، والعلم والجمع بين العلم والعمل والسّعي إلى معرفة الله حق المعرفة عن طريق التّأمل والنّظر أو التّفكير في مخلوقاته، بالإضافة إلى التقي والورع، والتّجرد من هوى النفس"[2].

أي أنّ الفقه هو الإحاطة بالشّيء علميّا ومعرفته معرفة صحيحة على النّحو السّليم وقد كثر النّحو السّليم والتّفقّه في الدّين لأنّ الدين هو من يسيّر مختلف أمور حياتنا ولأنّه جاء فيه ما لم يأتي

[1] الرّحلة، ص 471

[2] أحمد مريوش، **الحياة الثقافية في الجزائر من خلال العهد العثماني**، مركز الدراسات والبحث، الجزائر، (د، ط)، 2007، ص87

في غيره فاعتلى الشّرف والمنزلة العظمى، وكان له الفضل على سائر العلوم فهو المرجع الوحيد وهو الضّوء وسط عتمة من الاختلافات، وقد اتّخذ الورتيلاني نماذج عديدة من الفقه في رحلته إلى أنّنا اختصرناها وقد قسمناها إلى جزئيين:

أ-فقه العبادات:

وقد تمثّلت في الصّلاة كصلاة الاستخارة أي آداب الحج، ونبدأ الحديث مع فقه الحج حيث ذكر الورتيلاني مجموعة من الشّروط التي يتطلّبها الحج آلا وهي الإخلاص والنّية لله تعالى وعدم الرّياء والكذب فيما رآه الحاج أثناء أدائه لمناسك الحج، ولقد خصّ القول بما ذكر في القرآن الكريم بقوله تعالى:" **وأتمُّوا الْحَجَ والْعُمْرَةَ لِلّه"**[1]، فمن الآية المذكورة نخلص إلى أنّ الله خصّ الحج عن غيره من الزّكاة والتّصدّق والصّلاة ووجوب الإخلاص لكي ينال مغفرة الله.

كما تحدّث أيضا عن استجابة الدّعاء في مكّة لقوله: "كما قال الرّسول صلى الله وعليه وسلّم إنّ الدّعاء في عرفة ومزدلفة والمشعر الحرام ومسجده وعند الرّمي وعند الملتزم وعند الحطيم وزمزم وعند الحجر وغيرها مستجاب"[2].

بالإضافة إلى أنّ الاستخارة تكون في كلّ أمر مهمّ يعلم حكمه فيستخير مثل : الشّراء والكراء والصّحبة والتّرحال ... لافي أمور العبادات مثل الحج أو الأمور التي يكون حكمها معلوم إن كانت حلال أو حرام، مستحبّة أو مكروهة ثمّ أورد الورتيلاني كيفيّة أداء هذه الصّلاة بقوله: "يصلّي ركعتين من غير العريضة قال يقرأ في الأولى، قل يا أيّها الكافرون، وفي الثّانية قل هو الله أحد وإن قرا بغيره يجوزن ثمّ يقول اللهم إنّي أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنّك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم، وأنت علاّم الغيوب"[3].

فالرّحالة على فقه وعلم بعلوم الدّين والقرآن الكريم.

[1] الرّحلة، ص 29.

[2] الرّحلة، ص 30.

[3] الرّحلة، ص 34.

وأورد أيضا اختلافه في مسألة فقهيّة بينه وبين والده في الرّحلة حيث قال:" هذا وقد وقع بيننا وبين الوالد رحمه الله في بعض المسائل من مسائل الفقه فاستظهرت أنا والعلاّمة الفاضل والمحقق الكامل عمنا سيدي محمّد الصّغير أمر وهو قول خليل وتفكر بدنيوي"[1].

حيث ذكر أنّ جميع من قام بشرح هذا القول قال أنّ هذه مغالطة، وصفة مكروهة، فوضعها في باب المكروهات وعدم جواز الصّلاة لصاحبها حتّى يوفي ما عليه...، لكنّ الأب رأى أنّ ذلك فيه منع لأداء الصّلاة والتّوبة والله لا يمنع أحد من التّوبة فقد يكون ذلك الإنسان محتاجا لله تعالى.

إذا اقتصر التّفقه لدى الورتيلاني في باب العبادات على الفصل في الأحكام والأوضاع للنّاس وجوازها وبطلانها مع الاستشهاد بأقوال شيوخ وعلماء تتلمذ على أيديهم أو حضر محاضراتهم مع إعطائه أمثلة واقعيّة منطقيّة.

ب- فقه المعاملات:

تمثّل فقه المعاملات لدى الورتيلاني في ذكره لأحد المعاملات وهي البيع والشّراء من الأعراب، فلهم طريقة خاصّة في البيع يتميّزون ويعرفون بها، وإذا اشترى أحد منهم يبيعونه بأسعار قليلة أمّا إن كان الأمر متعلّقا بسكّان المدينة فالأمر مخالف لذلك، فيبيعونه بأضعاف مضاعفة فسمّي بالبرغازين، فالرّحالة تفقها في أنّ هذه الصّفة قد تكون مخادعة لعدم علمنا موضع السّلع من اللّبن والحليب، فإن علم فلا تكون مكروهة لقوله:" فلا نهي إذا تلفي حينئذ لكون السّلع بلغ بها سوقها ومحل بيعها وابتياعها"[2].

وذكر كراء الرّواحل من خلال التّفقه في أنّ الكراء لا يحصل إلاّ بحضور طالب ثالث ألا وهو المخرج فلم يتفقّه فيها كثيران وذكر أنها عادة فقط في قوله:" كراء الرّواحل أتى إليهم رجلا فيعتقدون لهم الكراء مع صاحبه ويتكلّفون بها عسى أن يصدر عن الجمال من عدد في الطّريق ويسمّى أحد هؤلاء المخرج"[3]، إذن فهذه العادة هي قديمة في التعامل لحفظ الأموال والأحوال اعتمدها أهل

[1] الرحّلة، ص 295.
[2] الرّحلة، ص 511
[3] الرّحلة، ص 512

الرّواحل في التّعامل لأسباب كانت واقعيّة. فالورتيلاني من خلال ذكره لهذه المعاملات أرادا أن يخبرنا بخصوصيّة التّعامل في المعاملات.

نخلص القول أنّ الرّحالة كان فقيها، فذكر في رحلته مجموعة من المسائل الفقهيّة التي فصّل فيها وذلك راجع كما قلنا سابقا للنّشأة والتّربية السّليمة منذ فطرته وحرص الوالدين على تلقيه مختلف العلوم الدّينيّة والدّنيويّة.

5- التّصوف:

تعدّ الرّحلة الورتيلانيّة رحلة حجازيّة بامتياز، كانت خلال عهد العثمانيين نسبت إلى صاحبها الحسين بن محمّد الورتيلاني، واختصّ بالمغرب العربي كمكان إقامته والجزائر خصوصا متّجها نحو مكّة المكرّمة لأداء مناسك الحج وهي من أعظم رحلاته حيث قدّم تقرير عن كلّ مدينة زارها فتنوّعت الزّيارة من زيارة القبور والأضرحة والصّلاح للدّعاء والتّقرّب من الله عزّ وجل والابعاد عن المعاصي والمنكرات.

فالتّصوّف هو امتثال الأمر واجتناب النّهي، في الظّاهر والباطن من حيث يرضى لا من حيث ترضى.[1]

أي أنّ التّصوف هو الخضوع للأمر الله والابتعاد عن ملذّات الدّنيا وشهواتها، وما يفسد سلوك الإنسان المتديّن. فهو طريقة تعبّديّة في التّقرّب من الله تعالى، ولابدّ أنّ الورتيلاني كان متصوّفا من خلال زيارته للأولياء وإيمانه بهم إلى جانب اطّلاعه وإعجابه بهم، ويتّضح ذلك من خلال مايلي:

- الأولياء الصّالحين والأضرحة:

قبل أن نتطرّق إلى ما ورد في الرّحلة لا بدلنا أن نفصل في المفهومين السّابقين ألا وهما الأولياء والصّالحين والأضرحة.

فالوليّ حسب في الثّقافة الشّعبيّة، الدّراويش والمرابطين والسّادة المتبرّك بهم وبكرماتهم

[1] أيمن جمدي، **قاموس المصطلحات الصّوفيّة**: دراسة تراثية مع شرح اهل الصفاء من كلام خاتم الاولياء، دار قباء الطباعة، القاهرة، (د، ط)، 1989، ص 50.

أمّا الأضرحة أو الضّريح فهي قبر الولي، فقداسة الولي في وجدان الرّعية الثّقافيّة رأت أنّ تميّز قبره عن قبور باقي البشر ليخلّدوه ويكون رمزا.

أي أنّ هذا الولي إنسان صالح في دنياه وبعد موته يبنى له مكان ويقدّس ذلك المكان ،فكانت هذه طبيعة الإنسان في تقديس ما يعجز عن فهمه ،فيتعدّد هؤلاء الأولياء بتعدّد النّواحي في المغرب العربي والإنسان الشّرقي خصوصا، وهذا قد لاقى معارضة من لمؤسّسة الدنيّة فاعتبرته شرك واستهزاء، والورتيلاني قد أفرد رحلته بجزء كبير في التّحدّث عن هؤلاء بل لا تكاد أن تكون سيرة ذاتيّة لهم ولأخبارهم وعلومهم وما أخذه عنهم من علم ونصائح ، فأكثر من الأسماء والأماكن وتحدّث عن كل شخصيّة بصفاتها ومميزاتها التي ميّزتها عن غيرها ، فلفظة الاولياء وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى:" **وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنَّ أَوْلِيَاؤُهُ ، إِلاَّ الْمُتَّقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**"، فالورتيلاني تحدّث عن أولياء كل بلد مرّ بهمن الجزائر ، وقام بزيارتهم مثل "سيدي فرج" ، "عبد السّلام الأسمر" ، "أحمد بن سعيد" ...

يقول الرّحالة:" ثم نزلنا قرية الشّيخ الفاضل، ذي التصنيف الجيّد الولي الكبير والعالم الشّهير صاحب وقته، المحب لنبي الله صلّى الله عليه وسلّم سيدي أحمد بن زيان "[1].

هنا قام الورتيلاني بوصف مكان الشيخ أحمد بن زيان والتّبرك به وبعلمه وبقريته التي تتميّز بالتّصنيف الجيّد الذي دفعه لتوظيفه في رحلته.

ويمكن أن يعدّ الورتيلاني باعتباره حاجّا ورحّالة، فهو نسق في حد ذاته من خلال حبّ النّاس له، وكونه في مسيرة سفر يعيشها تاريخيّا ما أكسبه طابع اجتماعي محبوب لدى النّاس وأهله خاصّة من خلال قوله:" ذهبنا لنبيّ عباس عند الفضلاء وبتنا عند الفضلاء الأشراف المحسنين لنا جميعهم الصّغير والكبير، الذّكر والأنثى وتكرّموا، وفرحوا بنا فرحا شديدا".[2]

فضمير المتكلّم بارز هنا يدلّ على الرّحالة ومدى حبّ النّاس له من كل فئات المجتمع.

[1] الرّحلة، ص 29
[2] الرّحلة ، ص22

وفي قوله أيضا: "ومنهم من يقولو لا تخافوا فلا بأس عليكم ولا ضرر لديكم وشيوعنا إلى أن برزنا عن بساتين العمارة وأرونا الطّريق"[1].

فهنا يبرز الأمن والأمان الذي اكتسبه الرّحالة وحسّ به في أثناء رحلته، والمساندة المعنويّة قبل الماديّة وإحساسهم بالاطمئنان في كل المسالك.

ومن هنا نخلص القول أنّ هؤلاء الأولياء حضوا بقيمة وسموّ مكانتهم عبّر عنها غيرهم بأساليب مختلفة ومتنوّعة وأنّ الهدف من ذكر هؤلاء الأولياء هو الاقتداء بهم وبالسّلف وبأخبارهم حيث يقول الورتيلاني: "إنّما نذكر من ذكر من الإخوان وبيان أوصافهم ليتحقّق السّامع بأحوالهم ويتّصف بأوصافهم".[2]

أمّا الأضرحة فكانت الزّيارة من أجل نيل البركة، وقد أشار الورتيلاني في رحلته إلى ضريح "سيدي "أحمد بن سعيد":" ضريحه مشهور يزار وأولاده، أفاضل على الخير والطّاعة".[3]

هذا الضّريح مشهور بشهرة صاحبه الذي خلق ولايته لأبنائه، ما أكسبهم صفة القبول لدى جميع النّاس.

ضريح سيدي إبراهيم اللّقاني "في مقبرة هناك محوط عليه بالأحجار على يسار الذّاهب إلى منزل الرّكب"[4]

وصف المكان ومدى قدسيته فحتّى في البناء كان في مقبرة وحده محوط عليه ن تدل على قدسيّة المكان ومنزلته العظيمة.

ضريح "سيدي عبد السلام الأسمر": "قبره روضة لا يتعدى عليه أحد، فمن وصل إليه سلم ونجا، وأفاض الله علينا من نفخاته، وقد رغبنا عنده فدعونا الله لنا ولأقربائنا المسلمين والمسلمات".

[1] الرّحلة، ص 617

[2] الرّحلة، ص178

[3] الرّحلة ، ص 95

[4] الرّحلة، ص 399

القبر عبارة عن مكان آخر يمثّل السّكينة لصاحبه ولغيره ،ومن يصل إليه يسلم ويفلح ويستجاب دعائه.

إنّ الأضرحة والأولياء كانا رفيق الرّحالة في غربته وأنيسه في سفره، وكان يصف هؤلاء، فالأضرحة مثّلت البركة والاستجابة لكلّ الأماني والأولياء كانوا بمثابة همزة وصل.

2-النّسق الثّقافي:

لكلّ منّا ثقافته ولكلّ منّا حيّزه الذي يمارس فيه هذه الثّقافة، فيجد حريّة التّعبير عنها داخل هذا الحيّز لكن السّؤال المطروح ماذا لو خرج عن هذا الإطار الجغرافي؟ حتما سيلقي باختلافات ومفارقات، فكذلك كان الورتيلاني في رحلته فقد عبّر عن مختلف المعالم الثّقافيّة من الماديّة والمعنويّة إلى العلميّة لنبدأ الحديث مع:

أ_ العمران والآثار الماديّة:

لقد اهتمّ الرّحالة بالطّابع الوصفي والإخباري في رحلته ، من مباني ،وطرقات ، وقصور، ومنازل ،ومساجد ...، فالمسجد هو ذلك المكان الذي يتعبّد فيه المسلمون وتقام فيه الصّلوات ، فالمسجد يقتضي صفة السّجود فبدأ الحديث عن مسجد الزّاب ببسكرة قائلا:" زرنا مسجدا، وطلعنا إلى مأذنته وهي في غاية الاتقان والطّول والسّعة ، تقدر الدّابة على الصّعود إليها بحملها وأدراجها....إلاّ أنّه قلّ عامروه وضعف ماكنوه"[1].عرف أهل الزّاب بالجود وتمثّل ذلك حتّى في عمرانهم ، فكان المسجد عبارة عن ضريح كبير محكم البناء متين وجيّد ، وعملوا على الحفاظ عليه فبنوه للتّقرب من الله عز وجل لكن سيطرة العثمانيين السياسية جعلتهم يتراجعون عن ذلك ويضعون ماديا ما ادّى غلى ضعف الوازع خاصة من ناحية المساجد، ومن ثمّة بدأ الهجران والتّهاون.

- مسجد السّلطان حسن بمصر تميّز هذا المسجد ببنائه المتقن وارتفاع أعمدته من الرّخام الشّاهق وأبواب كثيرة تمكّن الشّمس من البروز إضافة إلى النّقش فكان ذلك أفخم من مساجد أهل المشرق فالمارّ به يعتبره قصرا لا مسجد من شدّة المبالغة في بنائه.

- المسجد الأعظم في بلاد الطّائف:

[1] الرّحلة ،ص 117

إنّ كلمة الأعظم تدلّ على قدسيّة المكان، لأنّه منزل النّبي صلّى الله عليه وسلّم نزل فيه في قول الرّحالة:" في وسط المسجد يوجد مسجد صغير، وهو منزل النّبي صلّى الله عليه وسلّم، وفيه محل قبلة أم المؤمنين، أم سلمة"[1]

إنّ الاختلاف في هذا المسجد عن بقية المساجد هو اختلاف معنوي مادّي في الوقت نفسه، فهو منزل النبي صلى الله عليه وسلّم من جهة ومن جهة أخرى كيفيّة البناء الّذي اختلف عن غيره في كونه مسجد داخله بيت، هذا ما أبقاه متميّز ومتفرّد.

- مسجد قباء بالمدينة المنوّرة:

يعدّ هذا المسجد قدوة للصّحابة، ذلك لأنّ النّبي صلىّ الله عليه وسلّم اختاره من بين كلّ المساجد التي قام بالصّلاة فيها وكون الصّحابة يقتدون بالنّبي في الأفعال والأقوال فكانوا يصلّون فيه ويفضّلونه لقول سعيد بن أبي وقّاص: "أن أصلّي في المسجد ركعتين خير لي من أن آتي إلى بيت المقدس مرّتين"[2].

كما وصف الرّحالة دخوله هذا المسجد في قوله:" دخلنا الحديقة التي فيها البئر، وشربنا من مائها وتوضّأنا منه ومنها مسجد الجمعة وهو في طريق قبا نحو ميل أو أقل من مسجد قبا"[3].

فالرّحالة تبرّك وشرب من ماء المسجد وتوضّأ ثم أكمل طريق رحلته.

إنَّ كل هذه المساجد تمتاز عن غيرها في العمران والأحداث كلّ وبركته وكلّ وقيمته، لكنّ الورتيلاني له وجهة نظرة أخرى من رأي أنّه أصاب فيها في المقارنة بين مساجد المشرق والمغرب فيقول:" وأمّا أهل مغربنا فلا تكاد ترى في مساجدهم مسجد عظيما، قد أحدث بلد، ولا مهدّما قد جدد، بل لو سقط شيء من أكبر مساحة فآمن أحوالهم نيّة أن كان مبنيّا برخام، أن يعاد بآخر وإن كان مخصصا، أن يعاد بطين".[4]

[1] الرّحلة ، ص 515

[2] الرّحلة ، ص 543

[3] الرّحلة، ص 564

[4] الرّحلة، ص 23

من خلال القول نلاحظ أنّ المشرق اتّسم أهلها بصفة المبالغة في الأمور حتى البناء فبالغوا في ذلك كثيران أمّا المغرب فتميّزوا بالبساطة التي تعبّر عن واقع الحياة المعاش.

منارة الاسكندريّة هي عبارة عن منارة مطلية برصاص، طولها يفوق ثلاثمائة ذراع، تماثيلها من النّحاس أحدهم يشير إلى الشّمس ويدور مع دورانها والآخر إلى البحر ويعلمهم بقدوم العدو من ويصدر صوتا يسمع على نحو من قبل بليلة[1].

فالقيمة العمرانيّة التي تحملها هذه المنارة من امان وحرص وفضلها على أهلها في مصر فكم من مرّة استنجدوا بها وأنجدتهم، وبذلك تشكّل طوق النّجاة من كل خطر يعارضهم.

ب- الحركة الأدبيّة:

عرفت الرّحلة الورتيلانيّة تنوّع وتداخل الأجناس الأدبيّة، من شعر وقصص وأمثال وحكم، فالطّابع القصصي يبقى من ميزاتها سواء تخلّلتها أجناس أم لا، فهي رحلة ذات زمان ومكان وأشخاص وأحداث كثير ومتنوّعة، تتوفّر فيها كل أركان السّرد وهذا يدلّ على أنّ الرّحالة له زاد معرفي متشعّب ملم بمختلف المعارف، استطاع من خلاله التّعرف على طبائع البشر وعاداتهم وتقاليدهم، فالتّنوع الأجناسي الذي تخلل الرّحلة جعل منها مرجعا للشّعر والقصص والأمثال إلى جانب تلك العلوم الدينيّة التي أجادها الورتيلاني.

[1] الرّحلة، ص 565

أ-الشّعر:

هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف المفصّل بأجزاء متّفقة في الوزن والرّوي يستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عمّا قبله الجاري على الأساليب المخصصّة به[1]. فالشّعر إنتاج يأخذ لونه ونكهته واتجّاهه من مجموعة من التجارب الشعّرية التي يعايشها شاعر أو شعراء معينون في فترة زمنيّة معيّنة وفي بيئة مكانيّة خاصة.

وظّف الورتيلاني مجموعة كبيرة من القصائد له ولغيره في رحلته تارة للاستشهاد وأخرى للمدح وأحيانا أخرى للنّصح. وقد اخترنا بعض النّماذج من بينها قصيدة الوداع:

حَقِّي عَلَى الأَوْطَانِ بِالرِّعَايَةِ وحقَّهُمْ عَلَيَّ بِالْهِدَايَة

مَا أَصْعَبَ التَّوْدِيعَ لِلأَحْبَابِ وَعِنْدَهُ بِالْحُزْنِ وَاكْتِئَابِ

وَكُلّ نَفْسٍ تَزْعِجُ للافْتِراق لِفُقْدَان المألوفِ باخْتناق[2]

عبّرت هذه الأبيات عن حال قائلها وهو في جو من الحزن على أهله، إلاّ أنّ الوداع والسّفر لابد منه، فهو بصدد الذّهاب للحج وذلك ما جعله يرفع همّته، فيصف لنا مدى صعوبة الافتراق عن الأهل والأحباب بعد المآنسة إلاّ أنّه لابد من التّرحال.

وله أيضا:

جدُوا حَفَا يَا ذَا الفَضْلُ فيْضَ إِحْسَانَكُمْ إِذْ شَهَرَ أَنْوَارَكُمْ تُعْطِي لَنَا حُلْمَكُمْ

فقوت فربّكم بِيَدِي لنَا دَررَا وحقُّ إِكْرَامِكُمْ يُحْظِي لُنَا غرُرَا

فَكُلُّهُمْ أُخْلَصُوا الْأَعْمَالَ مِنْ حُبِّهِ وَعِلْمُهُمْ أُنْوارِ لِلصُّبْحِ ملْجَأ[3]

[1] عبد الحفيظ الهاشمي، مصطلح الشعر في تراث العقاد الأدبي، عالم الكتب الحديث، الأردن، (د، ط)،2009، ص19

[2] الرحلة، ص 78

[3] الرحلة، ص 65

غرض هذه القصيدة المدح والفخر بشيخه الذي أسماه سيدي محمد صالح وخصاله المحمودة فخص القول بأحد أبنائه فتحدّث عن فضله وعفافه :

يَا أيُّهَا الإنْسانُ فَاعلَمْ قَدْرَهُمْ لِأَنَّهُمْ سَحَابَةٌ مَعَ غَيْثَهُمْ

قدْ اخْتَصَرَتْ أَشْجَارُ أَهْلُ العَصْرُ وَأَفْرَكَتْ فَرَاكَهَا بثَمْرَةٍ [1]

أمّا هذه الابيات فقد قالها في مآثر الشيخ الصادق وأولاده، حيث جعل من كلامه نداء للنّاس لإعلامهم عن مدى القيمة والمنزلة التي يحملها هؤلاء فيشبّههم بالأشجار التي تثمر على أهل العصر، وأهل العصر هم من كانوا تابعين لهؤلاء فيحضون بالرّفعة والاحترام.

كما وظّف قصيدة في المصاحبة للشّيخ مصطفى:

لَعُمْرُكَ إنْ أَخَذْتَ إخَاء قَوْمٍ فلاَت ًجْعَلْ بِتَوكيد االودَادِ

فَإنَّ الغَدرَ في السِّمَات طَمَعٌ تَعُودُهُ الوَرَى منْ قَبْلِ عَاد

وَصَاحبُ مَنْ صَاحِب بحرصٍ وعَزْمٍ ولاَ تُودِعُهُ أَسْرَار الفُؤَادِ [2]

جاءت هذه الأبيات للنّصح والإرشاد، فعلى المرء أن يكون حذرا في اختيار رفاقه، فالخليل الصالح يعود عليه بالنّفع والفلاح ويجده في أوقات ضيقه ومحنته والمحافظة عليه والصّدق معه.

وفي ختام حديثنا يمكننا القول أنّ الورتيلاني قد وظّف العديد من الأشعار تختلف باختلاف أغراضها من مدح وشكر، إذ طعّم رحلته بأبيات شعريّة لهو لغيره وهذا ما منح رحلته بعدا جماليا.

2- الأمثال والحكم:

تعدّ الأمثال والحكم أقوال موجزة قصيرة تسرد وقائع قديمة تناقلت جيل عبر جيل تشتهر في المكان الذي قيلت به، إذ نجد الورتيلاني وظّف العديد منها في رحلته نذكر منها:

"شرف العلم يشرف معلومه"[1]

[1] الرّحلة، ص 59

[2] الرّحلة، ص 252

يقرّ الورتيلاني في هذا المثل بأنّ العلم ضرورة وشرف وعظمة، فالعلم من الأشياء المقدّسة ، فهو شرف لصاحبه وحرص على تعلّمه ،فإن كان التّلقين جيّد عاد بالنّفع على معلومه ومجتمعه.

"النّاس حوانيت مُغْلقة فإن تكلم الرجلان تبين العطار من البيطار"[2]

تتحدّث هذه الحكمة عن أصناف النّاس وصفاتهم فالإنسان بمثابة صندوق مغلق مظلم لا يعلم خباياه أحد، يصعب علينا معرفة ميولاته ورغباته إلاّ إذا تحدّث عنها.

"المجرب يحصد الناس حصدا"[3]

تكلّم الورتيلاني عن خبرة الإنسان في معرفة أخيه الإنسان، فالإنسان الذي مرّت عليه تجارب الحياة من خذلان وانكسارات يعي جيّدا ملامح الناس وأحاسيسهم.

"فإنّهم ذئاب في ثياب"[4]

أراد الرّحالة من هنا بيان حقيقة النّاس وعدم النّظر إليهم من خلال مظهرهم الخارجي فهناك العديد من الناس يظهرون عكس ما يخفون في نفوسهم وشبّههم بالذّئاب الخبيثة.

[1] الرّحلة ، ص 179

[2] الرّحلة، ص 197

[3] الرّحلة، ص 623

[4] الرّحلة، ص 337

خـــــاتمـــــة

وفي الأخير نستخلص أنّ الرّحلة الورتيلانية من أهم الرّحلات الجزائريّة التي عرفها العهد العثماني، لما تزخربه من معارف ومعلومات قيّمة، دوّن فيها صاحبها كل ما وقعت عليه عيناه من أماكن ومسالك وعادات وتقاليد.

ومن خلال هذه الدّراسة تحصّلنا على مجموعة من النّتائج نجملها فب الآتي:

– يحتوي أدب الرّحلة على معارف مختلفة اجتماعية وحضارية وتاريخية وغيرها.

– تختلف دوافع الرّحلة من رحّالة لآخر، والدّافع هنا ديني.

– كتب الورتيلاني رحلته في مذكراته اليوميّة وبعد عودته للدّيار معافى كتب رحلته بالتّدقيق بأسلوب أدبي فني.

– سار الورتيلاني على نهج الرّحلات السّابقة كرحلة العيّاشي ورحلة النّاصر الدّرعي

– جاءت رحلته منفتحة على عدّة أجناس أدبيّة كالنّثر والشّعر، الأمثال والحكم ....

وهذا ما أعطاها بعد جمالي.

–تعدّ رحلة الورتيلاني نموذجا في تعدد الأنساق الثّقافية، فعلى الرّغم من اشتراك الشعوب الإسلاميّة التي خالطها في أثناء رحلته في الدّين واللغة، إلاّ أنّه ثمّة فروق أنثروبولوجيّة وإثنية جعلتها متمايزة عن غيرها.

– ظهرت صورة المرأة بعدّة أشكال في أثناء المسار السّردي الرّحلي، تراوحت بين المستحبّ والمكروه، بين المألوف والموافق للشّرع.

– عدّت الرّحلة الورتيلانيّة شاهدا على الأحوال السّياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الجزائر والبلدان العربية التي زارها آنذاك.

– نقلت الرّحلة عادات وتقاليد البلدان التي زارها كعادة التّهنئة بحلول شهر جديد، وتعطيل الدّراسة كل يوم ثلاثاء في المدينة، بالإضافة إلى كيفية لباس ملوك أهل مصر التي تصنع من جلود الحيوانات،

فقد أعطى لمحة عن كل بلد مرّ به، وقام فيه وعن الزّواج وطريقة الاحتفال التي تختلف من المشرق إلى المغرب.

-إنّ الرّحلة الورتيلانية وثيقة تاريخية تحمل في ثناياها أحداثا تاريخية، مثل ذكر أسماء بعض المناطق التي تمّ فتحها كبناء القيروان وفتح مدينة باغية...، فمنها من تغيّر اسمها ومنها من تغيّرت تسميته مثل: بحر الرّوم (البحر الأبيض المتوسّط)، بحر القلزم (البحر الأحمر) ... وهو البحر الذي شاع بأنّه غرق فيه فرعون.

- عمد الورتيلاني إلى استحضار زخمه المعرفي، ورصيده الجمالي، فتمكنّه من العلوم الدينية والدنيوية المختلفة هو ما أضفى على رحلته قيمة مميّزة.

- وصفه للمناظر والثروات التي تميّز بها كل بلد زاره من آبار ووديان كواد الآراك، وواد بطحان، وبئر حسان... كلّها تركت أثرا في نفس الرّحالة وحرّكت عواطفه.

-وصف الأماكن وعمرانها وطريقة بناءها واختلافها من مكان لآخر كمسجد قباء، ومنارة الإسكندريّة...

-زيارة القبور والأضرحة والأولياء الصالحين والتّبرك بهم والدّعاء عندهم.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

المصادر:

1- الحسين بن محمد الورتيلاني، الرّحلة الورتيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التّاريخ والأخبار، بيبروفونتانا الشرقية، الجزائر، الطبعة 1، 2004

المعاجم والقواميس:

2- عبد الحفيظ الهاشمي ،مصطلح الشعر في تراث العقاد الأدبي، عالم الكتب الحديث، (د، ط) ، 2009

3- الفيروز الآبادي (محي الدين بن يعقوب)، قاموس المحيط، دار الجيل ،بيروت،(د، ط) ، 1985

4- ابن منظور، لسان العرب ،دار المعارف ،بيروت ، (د، ط)، (د، ت) ، ج3

5- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، بيروت، (د، ط)،(د، ت)، ج18

6-أيمن جعدي، قاموس المصطلحات الصّوفية، دراسة تراثية مع شرح أهل الصفا من كلام خاتم الأولياء ،دار قباء للطباعة، القاهرة ،(د، ط) ،1989

7-ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، سوريا، (د، ط)، 1979

8-الفيروز الآبادي (مجد الدين محمد من يعقوب)،قاموس المحيطن تح: محمد نعيم العرقوسي ، مؤسسة الرسالة،ط8 ،2005

9-مجدي وهبة، كامل المهندس: معجم المصطلحات العربيّة في اللغة والأدب ،مكتبة لبنان، بيروت،ط2، 1984/1944

10-محمد التونجي ،المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت ،ط2، 1981

المراجع:

11-شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، رؤية للنشر، القاهرة، ط1، 2006

12- أبوشعيب الساوري، الرحلة والنسق، دراسة في إنتاج الأدب الرحلي، مؤسسة الرحاب الحديثة، لبنان، ط1، 2017

13-أحمد مريوش، الحياة الثقافية في الجزائر من خلال العهد العثماني، مركز الدّراسات والبحث، الجزائر، (د، ط) ،2007.

14-اديث كوينريل ن عصر البنيوية، تر:جابر عصفور ،دار السعادة ،الكويت،ط1 ، 1933

15-ايميل دوركايم، أصل التّفكير، تلر: خالد البحري ،دار ابن رشيق للنّشر، تونس (د، ط) ، 2005

16-بدر الدين التهاوني، تح: عبد السلام هارون، دار العلم للملايين، سوريا، ط1، (د، ت)

17-بطرس البستاني، دائرة المعارف، مطبعة المعارف، بيروت، (د، ط)، 1884، مج 8

18-أبو حامد محمد الغزالي، إحياء علوم الدّين، دار الكتب العلميّة بيروت طبعة1، 1986، ج2

19-حسني محمود، أدب الرحلة عند العرب، رحلات أمين الريحاني نموذجا، الوكالة العربية عمان، الأردن، (د، ط)، 1995

20-عبد الله الركيبي، تطوّر النثر الجزائري الحديث، الدار العربية للكتاب، لبيا تونس، (د، ط) ، 1974

21-أبو القاسم عمر الزمخشري، أساس البلاغة، تح: عبد الرحمان محمود، دار المعرفة، بيروت، (د، ط)، 1979

22-سيد حامد النساج، مشوار الكتب الرحلة قديما وحديثا، مكتبة غريب، القاهرة، (د، ط) ، (د، ت).

23-شوقي ضيف، الرّحلات، دار المعارف، القاهرة، ط1، (د، ت)

24-صلاح الدين الشّامي، الرحلة عين الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافي والدّراسة الميدانية منشأة المعارف، الاسكندريّة، (د، ط)، 1999

25-عبد الله الغذامي، النقد الثّقافي قراءة في الأنساق الثقافية، المركز العربي، بيروت، ط3، 2005

26-محمد بن سعود عبد الله الحمد، موسوعة الرحلات العربية والمعرفة، المخطوطة والمطبوعة، دار الكتب، الوثائق القومية، القاهرة، ط1، 2007

27-نادر كاظم، تمثيلات الآخر: صورة السود في المتخيل العربي الوسيط دراسات، فكر المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1 ،2004

28-ناصر عبد الرّزاق الموافي، الرّحلة في الأدب العربي حتى نهاية ق4، مكتبة الوفاء، القاهرة، ط1، 1995

مواقع الكترونية:

30-هيثم الباقر، تعريف المرأة، الحوار المتمدن 8/3/2015،www. M-ahewour/org

المجلات:

31-اسراء حسن جابر، النقد الثقافين مجلة الفلسفة، الجامعة المنتصرية كلية الآداب، العراق، 2017، العدد3

العنوان	الصّفحة
مقدّمة	أ
مدخل: المصطلحات والمفاهيم	13-6
أوّلا: الرّحلة لغة واصطلاحا	7_6
ثانيا: مفهوم أدب الرّحلة	8 -7
ثالثا: نشأة أدب الرّحلة وقيمته	9- 8
رابعا: النّسق	10- 9
خامسا: الثّقافة	11
سادسا: الأنساق الثّقافيّة	12
سابعا: الرّحلة والنّسق	13 -12
الفصل الأوّل: النّسق الاجتماعي والتّاريخي والطّبيعي	29-16
أوّلا: النّسق الاجتماعي	
أ_ الطّعام	17 - 16
ب_ اللّباس	18
ج_ المرأة	19 -18
د_ الزّواج	20-19
هـ_ العادات والتّقاليد	21 -20
و_ وصف المدن والقرى	22 -21
ثانيا: النّسق التّاريخي	
أ_ بناء القيروان	23
ب_ فتح مدينة باغية	23
ج_ خبر الكاهنة	24
د_ مدينة القلزم	25 - 24
هـ_ صوت الطّبول	25
و_ بناء الإسكندريّة	26 - 25

ثالثا: النّسق الطّبيعي	
أ_ الوديان	26 -27
ب_ الآبار	27 -28
فصل ثان: النّسق الدّيني والثّقافي	
أوّلا: النّسق الدّيني	
أ_ العلوم الدّينيّة	31 - 32
1_القرآن الكريم	32 -35
2_ التّفسير	36
3- الحديث	37 - 39
4- الفقه	39 -42
5- التّصوف	42- 45
ثانيا: النّسق الثّقافي	
أ_ الآثار العمرانيّة	45 -46
ب_ الحركة الأدبيّة	47
1_ الشّعر	47 - 48
2_ الأمثال والحكم	48 - 49
خاتمة	52 - 53
قائمة المصادر و المراجع	55 -57
فهرس الموضوعات	58 - 59
ملخص	

ملخص:

دأب الإنسان على فعل التّرحال والسّفر من مكان إلى آخر ،فعمل على تدوين رحلته ، وتسجيل أحداثها ، ونقل مغامراته عن طريق السّرد والحكي ، فنتج عن ذلك جنس أدبي جديد يدعى أدب الرّحلة وهو نوع منفتح على مختلف العلوم والمعارف، رحلة الورتيلاني الموسومة" بنزهة الأنظار في فضل علم التّاريخ والأخبار" من أشهر الرّحلات الجزائريّة، تضمّنت في طيّاتها أنساقا ثقافيّة متعددة مرتبطة بمختلف البلدان التي زارها الرّحالة ، جاءت هذه الدّراسة للنّص الرّحلي لتكشف عن تلك الأنساق المختلفة من اجتماعيّة وتاريخيّة وطبيعيّة ودينيّة ....الخ ، والتي ظهرت مضمرة أحيانا وظاهرة أحيانا أخرى مشكّلة بذلك غموضا وجب البحث في كينونته.

Abstract

Man has always done the act of traveling and traveling from one place to another, so he worked on writing down his journey, recording its events, and conveying his adventures through narration and storytelling. The virtue of history and news" is one of the most famous Algerian trips, which included in it multiple cultural patterns related to the various countries visited by the traveler. Other times, thus forming an ambiguity that must be searched for.

Résumé

L'homme a toujours fait l'acte de voyager et de voyager d'un endroit à un autre, il a donc travaillé à écrire son voyage, à enregistrer ses événements et à transmettre ses aventures à travers la narration et la narration. La vertu de l'histoire et de l'actualité "est l'une des plus les fameux voyages algériens, qui comportaient de multiples schémas culturels liés aux différents pays visités par le voyageur, d'autres fois, formant ainsi une ambiguïté qu'il faut rechercher.